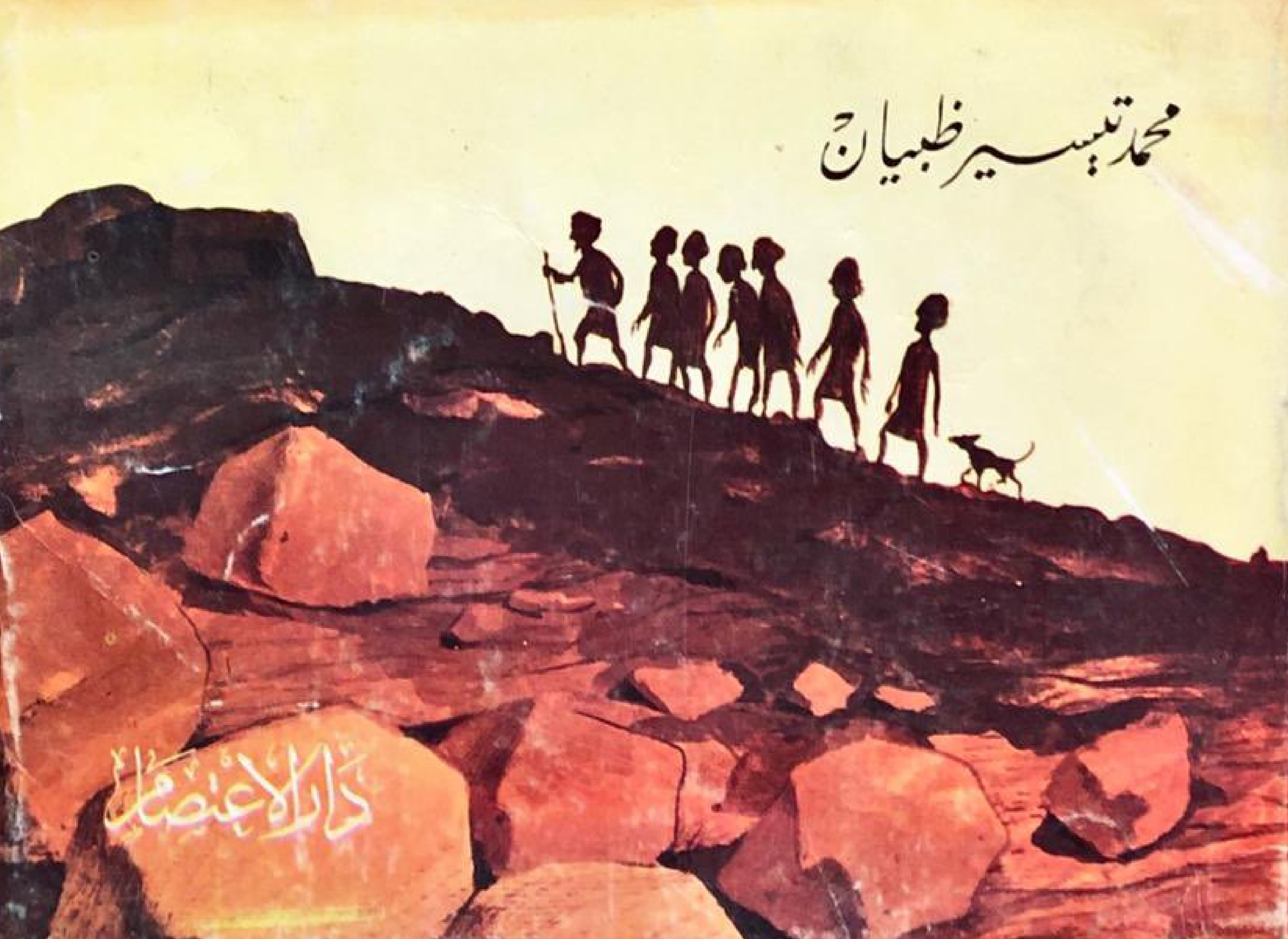
أعظم اكتشاف تاريخي
وأثري في القرن العشرين

أهل الكهف

وظهور المعجزة القرآنية الكبرى

محمد تيسير ظبيان



دار الاعتصام

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ ٱلْكَهْفِ
وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَـٰتِنَا عَجَبًا

موقع أصحاب الكهف

وظهور المعجزة القرآنية الكبرى

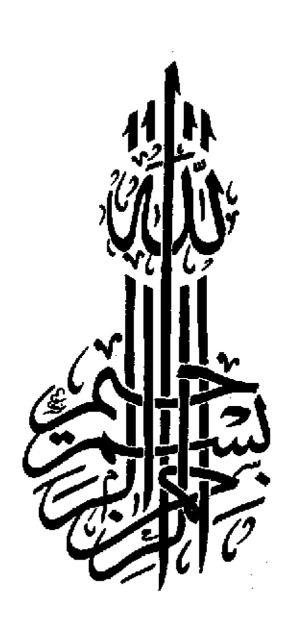
أعظم اكتشاف
تاريخي وأثري
في القرن العشرين

محمد تيسير ظبيان

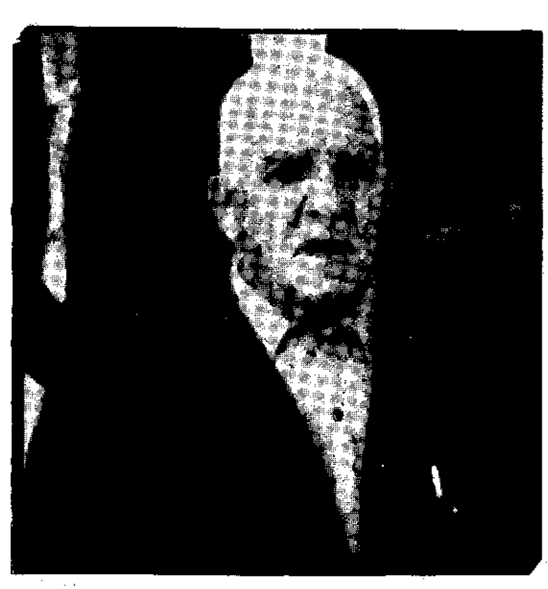
الطبعة الأولى
١٣٩٨هـ ١٩٧٨م

دار الاعتصام


موقع أصحاب الكهف
وظهور المعجزة القرآنية الكبرى


بسم الله الرحمن الرحيم





محمد تيسير ظبيان



تقديم

هنالك بواعث جمة واعتبارات شتى جعلتني أهيم بسورة الكهف ، وبقصة « أصحاب الكهف » فالسورة تشتمل على عجائب فريدة ، ومغاز بعيدة ، وتوجيهات سديدة ، وعظات بالغة رشيدة أخذت بمجامع قلبي . . كما أنها تنطوي على صور مشرقة رائعة تمثل لنا عظمة الخالق وتذكرنا بوحدانيته وقدرته وحكمته في تدبير الكون . وفي اعتقادي أن كل من شرح الله صدره للإيمان ، وآتاه حسن سريرة فيه ، وراح ينعم النظر في هذه السورة ويتدبر معاني آياتها الكريمة بصدق وروية ، ويتعمق في مغازي القصص الأربع التي وردت فيها : قصص أصحاب الكهف ، وصاحب الجنتين ، وموسى والعبد الصالح ، وذي القرنين . . لابد أن يخرج بالحقائق التالية :

١ — قدرة الله على مخالفة سنن الكون ونواميس الحياة التي يألفها الناس ، وصنع الخوارق والمعجزات التي لايدركون حكمتها وأسرارها .

٢ — تقرير أمر البعث واليوم الآخر وما فيه من بأس شديد للعصاة والكافرين ، وأجر عظيم للمؤمنين والمتقين .

٣ — ابتلاء البشر ولا سيما الكفار وأهل الكتاب من اليهود والنصارى بزينة الدنيا وزخارفها ومباهجها ومغرياتها ، وإنذارهم بوخامة العقبى وسوء المصير ، وتبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات بحسن الأجر والثواب .

٤ ــ الصراع الدائم منذ الأزل بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والإيمان والكفر . .

٥ ــ وفى السورة تسلية للرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وللمؤمنين الذين كانوا يتعرضون لأذى كفار قريش ، وحثهم على التمسك بأهداب الصبر ، وأنه لابد من الفرج بعد الضيق ، واليسر بعد العسر ، والطمأنينة بعد القلق والاضطراب .

٦ ــ وفى السورة تنويه بأثر الإيمان بالله فى النفوس التى تختار الهجرة فراراً من بطش الحكام الظالمين وعدم الرضوخ لمشيئتهم وجبروتهم .

٧ ــ وفى السورة تبيان للناس بأن ما صنع الله (جل شأنه وتبارك اسمه) بأصحاب الكهف ليس بأغرب من سائر آياته كخلق السموات والأرض ، وخلق الإنسان نفسه ، وسائر المخلوقات .

٨ ــ وقد أكدت السورة على أن الله يستجيب للمؤمنين الصادقين دعاءهم ، ويبسط عليهم لواء رحمته ، ويهيئ لهم أسباب الرزق ووسائل المعيشة وطرق النجاة كما وقع لأصحاب الكهف .

٩ ــ وفى السورة تقرير لحقيقة الثابتة فى التدليل على وجود الإله الواحد الأحد ، وفساد اعتقاد أهل الشرك وعبدة الأوثان الذين جاء ذكرهم على لسان أولئك الفتية بقولهم (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) .

١٠ – وفى السورة إشارة إلى أن ما يصيب الإنسان فى هذه الدنيا من خير وشر إنما يتم بمشيئة الله وتدبيره لحكمة يريدها فهو المهيمن والمهيىء للأسباب ، ومالك زمامها كما وقع لصاحب الجنتين .

١١ – وفى السورة نهى للإنسان عن الخوض فى الأمور الغيبية التى هى من خصائص العزة الإلهية ، وعدم المجادلة والمراء فى الأمور التى يعجز الإنسان عن إدراكها والوقوف على أسرارها كما ورد فى معرض الحديث عن عدد أصحاب الكهف ، وفى قصة سيدنا موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح .

١٢ – وفى السورة تذكير للناس بأن لا يزمعوا أمراً ، ولا يقدموا على عمل إلا بإذنه ومرضاته ، وأن يذكروه فى حالة النسيان ، ويطلبوا هدايته وتوفيقه على الدوام .

١٣ – وفى السورة وصف للقائد الصالح المؤمن بربه ، الذى أوتى من أسباب القوة وعناصر العزيمة ، ومن رجاحة العقل وسداد الرأى ونفاذ البصيرة ما مكنه من فتح الأمصار ومكافحة الظلم ، وإخضاع الجبابرة ، ونشر لواء العدل ، والقيام بأجل الأعمال كما فعل ذو القرنين .

وبالإضافة إلى هذه الروائع التى كشفت لى فقد لاحظت أن هنالك ارتباطاً يكاد يكون وثيقاً بين أول سورة الكهف وآخرها من حيث إثبات الوحدانية . . فقد جاء فى مستهل

السورة إنذار إلى أولئك الذين لا يؤمنون بهذه الوحدانية ويزعمون أن لله ولداً ، وفى الآية الأخيرة فى هذه السورة تأكيد لهذه الوحدانية : (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

ولاحظت أيضاً ارتباطاً آخر بين هذه السورة وبين سورة الإسراء .. فهناك إشارة فى كلتا السورتين إلى الوعد الإلهى وهو وعد الآخرة . . فقد جاء فى الآية التى يخاطب بها بنى إسرائيل : (فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً) وجاء ذكر هذا الوعد بالذات فى سورة الكهف فى قوله تعالى : (فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقاً) ويقصد بذلك انهيار السد الذى بناه ذو القرنين فى وجه يأجوج ومأجوج ، وسيتم ذلك كما يفهم من سياق الآية فى آخر الزمان . . فمصير بنى اسرائيل ، وانهيار السد ، وظهور قوم يأجوج ومأجوج ينطبق على ما ورد فى الأحاديث الشريفة من علامات الساعة ومن أعظمها ظهور الدجال والمسيح والمهدى عليهما السلام ، وهذا يفسر لنا الحكمة فى الحث على تلاوة أوائل سورة الكهف وأواخرها عند ظهور الدجال وما يعقب ذلك من الفتن فى آخر الزمان وفاقاً لما ورد فى الأحاديث النبوية .

****

وقد حفزني ذلك كله إلى الاهتمام بموضوع أصحاب الكهف وتقصي أخبارهم ، والقيـــام بدراسات خاصة ، لاستيفاء المعلومات الوافية عن قصتهم وتاريخ ظهورهم ومكان وجودهم وموقع الكهف الذي التجأوا إليه وما إلى ذلك من القضايا والحقائق الدينية والتاريخية . وقد بذلت في سبيل ذلك جهداً شاقاً وعناء شديداً .

ولدى انتهائي من الدراسات الأوليـة طفقت أبحث عن الـكهف الذي ذكر بعض المفسرين والمؤرخين المسلمين أنه يوجد على قيد بضعة فراسخ من عمان وفي أرض البلقاء التي كانت تضم عمان وما يجاورها من القرى ... وفي غضون ذلك قرأت مقالا للمؤرخ المعروف الأستاذ محمود العابدي أشار فيه إلى بعض المواقع الأثرية في هذه المنطقة وفي عدادها كهف « الرجيب » فاتصلت فوراً بالأستاذ صاحب المقال (وهو صديق حميم) فأرشدني إلى مكانه . فشمرت عن ساعد الجد ، وتوكلت على الله ، وابتهلت إليه تعالى كي يسدد خطاي ويهيء لي من أمري رشداً . وهنالك فكرة أخذت تساورني حين بدأت بهذه الدراسات (ولا تزال) وخلاصتها أن هؤلاء الفتية من علامات الساعة ، والكشف عن أخبارهم من أماراتها : (فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها) وفي سورة الـكهف إشارات كثيرة إلى هذه الأشراط والأمارات .

والله أسأل أن يجعل هذا الجهد المتواضع والعمل الدؤوب خالصــاً لوجهه تعالى ، وأن يمنحنى من القوة والصحة والسداد ما يمكننى من متابعة البحث ، ومواصلة الدراسة فى سبيل إحياء هذا التراث التاريخى المجيد ، وإبراز هذه المعجزة الإلهية الكبرى ، ومن الله التوفيق « قل إن صلاتي ونسكي ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

« عمــان » 　　　　　　　　محمد تيسير ظبيان

*****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . قيما لينذر بأساً شديداً من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً . ماكثين فيه أبداً . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا . ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً . فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً . إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا . وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً .

أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً . إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشداً . فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً . ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً . نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا : ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذن شططا . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً . وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ، ويهيىء لكم من أمركم مرفقاً . وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا

غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ، ذلك من آيات الله ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا . وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً . وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم : كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه ، وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً . إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذن أبداً . وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها ، إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً . سيقولون : ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون : خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون : سبعة وثامنهم كلبهم ، قل : ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ، ولا تستفت فيهم منهم أحداً . ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ، وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشداً . ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ، قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض ، أبصر به وأسمع ، ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا .

(صدق الله العظيم)

فضائل سورة الكهف

لا أستطيع الجزم فى صحة الأحاديث التى تنص على فضائل سورة الكهف ، فليس ذلك من اختصاصى ولا موضوع هذا الكتاب ، فأنا أنقلها على علاتها كما رواها بعض المفسرين والمؤرخين ، ولكننى أرجح بأن معظمها صحيح رغم اختلاف رواتها وأسانيدها ونصوصها ، وهى فى جملتها تشير إلى ظهور الدجال ، وإلى أن قراءة بعض آيات الكهف تعصم من فتنته .

فعن أبى بن كعب عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من قرأها فهو معصوم ثمانية أيام من كل فتنة فإن خرج الدجال فى تلك الثمانية عصمه الله من فتنته » .

وعن سمرة بن جندب عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : «من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظاً لم تضره فتنة الدجال ، ومن قرأ السورة كلها دخل الجنة » .

وروى الواقدى بإسناده عن أبى الدرداء عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره ، ومن حفظ خواتيم سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة » .

وروى الواقدى أيضاً بالإسناد عن سعيد بن محمد الجزمى عن أبيه عن جده عن النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه » .

وروى العياشى بإسناده عن الحسن بن على بن أبى حمزة عن أبيه

عن أبي عبد الله قال : « من قرأ سورة الكهف فى كل ليلة جمعة لم يمت إلا شهيداً وبعثه الله مع الشهداء ووقف يوم القيامة مع الشهداء» .

وعن أبي سعيد الخدرى قال : « من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم خرج الدجال لم يسلط عليه ولم يكن عليه سبيل » .

وأخرج ابن مردويه والضياء فى المختارة عن على قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة تكون فإن خرج الدجال عصم منه» .

وقال إسحق بن عبد الله بن أبي فروة أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك ملاء عظمتها ما بين السموات والأرض لتاليها مثل ذلك ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « سورة أصحاب الكهف ، من قرأها يوم الجمعة غفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام ، وأعطى نوراً يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال » .

وعن أبي إسحق قال سمعت البراء يقول : قرأ رجل (الكهف) وفى الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضبابة أو سحابة قد غشيته فذكر ذلك للنبي ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : «إقرأ فلان فإنها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن » .

وعن ابن حبان قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » .

ويلوح لى أن سبب العصمة من فتنة الدجال لمن وفقه الله لتلاوة هذه السورة الشريفة أو بعض آياتها لما تنطوى عليه من الأدلة التى تبرهن على عظمة الخالق وقدرته وحكمته فى تدبير الكون والاعتماد عليه فى كل شأن من شؤون الحياة فهى تزود قارئها بالإيمان الصحيح الذى يحميه من أضاليل الدجال .

أســباب نزول السورة

يحاول بعض المفسرين الأقدمين أن يربطوا بعض السور بأسباب نزولها مع أن جميع السور التي يشتمل عليها القرآن تهدف إلى الإرشاد وتهذيب النفوس على مر العصور وهي موجهة إلى الناس كافة وإلى جميع الأجيال . وقد أشار إلى ذلك كثير من علماء المسلمين المتضلعين في فهم معاني الكتاب المبين ، ومن هؤلاء العلماء الثقات العالم الهندي الفذ الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي فقد عالج هذا الموضوع في كتابه (الفوز الكبير في أصول التفسير) إذ قال : « وعامة المفسرين يربطون كل آية من آيات المخاصمة وآيات الأحكام بقصة ويعتقدون أن تلك القصة كانت سبب نزولها ، والمحقق أن الغاية الأساسية من نزول القرآن هي القضاء على العقائد الباطلة والأعمال الفاسدة وتذكير الناس » .

وحول نزول سورة الكهف فقد روى معظم المفسرين رواية عن محمد بن إسحق عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس خلاصتها أن النضر بن الحرث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط أنفذهما كفار قريش إلى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما : سلاهم عن محمد ، وصفا لهم صفته ، وخبراهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا .. فخرجا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقالا لهم ما قالت قريش ، فقال لهما أحبار اليهود : اسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول .. سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث ، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ

مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هو .. فانصرفا إلى مكة فقالا : يامعاشر قريش قد جئناكم بفصل مابينكم وبين محمد وقصا عليهم القصة وجاءوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فسألوه فقال «أخبركم بما سألتم عنه غداً » ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه فى ذلك وحياً ولا بآية حتى أرجف أهل مكة وتكلموا فى ذلك فشق على رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، ما يتكلم به أهل مكة عليه ثم جاءه جبرائيل عن الله ســبحانه بسورة الكهف وفيها ما سألوه عن أمر الفتية والرجل الطواف وأنزل عليه : «ويسألونك عن الروح» .. الآية قال ابن إسحق فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه : «لقد احتبست عنى يا جبرائيل» فقال له جبرائيل : «وما نتنزل إلا بأمر ربك » .. الآية .

بيد أن السيد الطباطبائى ذكر فى تفسيره (الميزان) أن الأمور الثلاثة التى حددها اليهود فى أسئلتهم هى (قصة أصحاب الكهف وقصة موسى مع الخضر وقصة ذى القرنين) وقد جاءت الإجابات على هذه الأسئلة الثلاثة فى سورة الكهف .

ظهور أصحاب الكهف فى آخر الزمان

اطلعت على أحاديث كثيرة تشير إلى ظهور (أصحاب الكهف) فى آخر الزمان وأنهم سيكونون من أعوان سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أو المهدى ولكننى لم أتثبت من صحتها فأنا أرويها على علاتها ولا يستبعد أن يكون بعضها صحيحاً .

جاء فى تفسير الصاوى على الجلالين : واعلم أنه اختلف فى أصحاب الكهف .. هل ماتوا ودفنوا أم هم نيام وأجسامهم محفوظة والصحيح أنهم نيام ويستيقظون عند نزول عيسى بن مريم ومعه أصحاب الكهف ويحجون معه ويموتون قبل يوم القيامة حيث تأتى الريح اللينة كما قال صلى الله عليه وسلم : « ليحجن عيسى بن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنهم لم يحجوا بعد » ذكره ابن عيينة .

وفى رواية : (مكتوب فى التوراة والإنجيل) أن عيسى بن مريم عبد الله ورســوله يمر بالروحاء حاجاً ومعتمراً ويجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجاً فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا .

وجاء فى التذكرة للقرطبي ما يطابق ذلك إذ قال : روى إسماعيل ابن إسحق أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تقوم الساعة حتى يمر عيسى بن مريم بالروحاء حاجاً أو معتمراً أو ليجمعن الله بين الحج والعمرة ويجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حجاجاً فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا » .

وجاء فى كتاب النهاية لابن كثير بمناسبة حديثه عن المسيح عليه السلام أن محمد بن كعب القرظى قال : (فى الكتب المنزلة أن أصحاب الكهف يكونون فى حواريه وأنهم يحجون معه) .

ويقول الدميرى فى كتابه (حياة الحيوان) : إن أصحاب الكهف أخذوا مضاجعهم وصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدى فيقال : إن المهدى يسلم عليهم فيحييهم ويردون عليه السلام ثم يرجعون إلى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة .

وذكر الدميرى أيضاً : وقد رأيت فى كتاب الشفاء للإمام أبى الربيع سليمان بن سبع ما نصه : روى أن عيسى عليه السلام يعمر بعد الدجال ويأجوج ومأجوج أربعين سنة ويكون حواريه أصحاب الكهف والرقيم ويحجون معه لأنهم لم يحجوا .

وفى رواية عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أصحاب الكهف أعوان المهدى » .

*****

دراسات حول القصة

- القصة في المصادر المسيحية .
- القصة في المصادر الاسلامية .
- قطعت جهيزة تضارب الأقاويل .



القصة فى المصـــادر المسيحية

إن جميع المصادر المسيحية والإسلامية التى اطلعنا عليها تؤكد أن أولئك الفتية الذين وردت قصتهم فى القرآن الكريم كانوا من أتباع الديانة النصرانية بقطع النظر عن الفترة التى ظهروا فيها . بيد أن مصدراً واحداً معاصراً حاول أن ينسب هؤلاء الفتية إلى الديانة اليهودية وأنهم ربما وجدوا قبل المسيح أو بعده وهذا المصدر هو (التفسير المنتخب) الذى نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى مصر وقد وضعته لجنة خاصة من علماء المسلمين ، فقد ذكر الخبراء فى حواشى التفسير أنه من المحتمل أن يكون هؤلاء الفتية الذين أووا إلى الكهف واعتصموا به من اليهود إما فى عهد الملك السلوقى انتيوخوس الرابع الملقب بنابيفانيس حوالى (١٧٦ – ٨٤ ق . م) أو فى عهد الامبراطور الرومانى هادريانوس (١١٧ – ١٣٨ م) وكلاهما اضطهد اليهود وعطل شعائرهم وتعاليمهم

ونحن لا ندرى من أى مصدر استقى هؤلاء الخبراء هذه المعلومات أو الاستنتاجات الخاطئة ، ويكفى للتدليل على عدم صحتها أن اليهود أنفسهم (وهم الذين يبالغون فى تقديس أبطالهم) لم يشيروا إليها كما أن جميع الكتب الإسرائيلية لم تذكر شيئاً عن هذه القصة ولم تنوه بهذا الحدث التاريخى العظيم والمعجزة الإلهية الكبرى لا من قريب ولا من بعيد (كما نرجح) .

أما المصادر المسيحية التى اعتمد عليها جمهور المفسرين والمؤرخين المسلمين فى سرد تفاصيل قصة أصحاب الكهف فقد تبسطنا فى إبرازها

باعتبارها من أهم القصص التي تروى عن القديسين ، وإن كانت قد تضاربت روايات هذه المصادر في تحديد عدد هؤلاء الفتية وتاريخ ظهورهم والفترة التي أمضوها في الكهف .

ولدى مراجعة المصادر المسيحية القديمة والحديثة تبين أن أول من كتب قصة أصحاب الكهف بالسريانية هو جيمس الساروغي James of Sarus وكان كاهناً لمقاطعة ساروغ في العراق وقد ولد سنة ٤٥٢ ومات سنة ٥١٨ م أي بعد وفاة الامبراطور اثيودوسيس الثاني المعروف بالأصغر .

وقد نقلت القصة عنه إلى اللغة اللاتينية بعناية غريغوري حوالي القرن السادس الميلادي كما تشير إلى ذلك موسوعة Chambers of Toura

ويقول المرحوم رفيق الدجاني عالم الآثار الأردني ، والذي كان له اليد الطولى في حفريات الكهف أنه (أي الساروغي) عاصر الامبراطور جستينيوس الأول الذي حكم سنة ٥١٨ – ٥٢٧ وفي زمانه بنيت الصومعة فوق الكهف كما ثبت ذلك بالبينات الأثرية . وقد عثر على نقوده عند قواعد البنيان .

وقد نقلت هذه القصة من السريانية إلى اليونانية واللاتينية والحبشية والهندية والفارسية ثم إلى العربية وإليها استند المفسرون والمؤرخون المسلمون في سرد تفاصيل هذه القصة ، وجاء في دائرة المعارف للأخلاق والديانات تعقيباً على هذه القصة : « أن قصة النائمين السبعة من أكبر القصص التي تروى عن القديسين من حيث المتعة العقلية والذيوع في الآفاق » .

ومما يذكر أن ذكرى هؤلاء الفتية حفظت فى اجتماعات العشاء الربانى فى الشرق المسيحى وأخبرنى أحد رجال الكهنوت فى عمان أن لديهم صلاة خاصة تحمل اسم (الرقيم) نسبة إلى جبل الرقيم .

وحكى المؤرخ إدوارد جيبون Edward Gibbon فى كتابه (سقوط روما وانحطاطها) هذه القصة فى أسلوبه الخاص الذى يمتزج فيه التاريخ بالأدب والرواية بالتعليق والتفسير ، ويتجلى فيه التعصب المسيحى والتعرض للإسلام ، ويحاول المؤرخ أن يشوه هذه القصة ويعتبرها من قبيل الخرافات التى ابتدعها الإغريق (كتاب الصراع بين الإيمان والمادية) ثم صاغها الإسلام بأسلوب شيق (كذا) ويلوح لنا أن معظم الذين تناولوا هذه القصة من المؤرخين والكتاب المسيحيين بعد ظهور الإسلام حاولوا أن يغمزوا من قناة الإسلام ، وأخذوا يزعمون أن قصة الكهف التى وردت فى القرآن الكريم مقتبسة بجملتها من الروايات النصرانية ، وقال بعضهم : إنها من نسيج الخيال والأساطير ومن هؤلاء المستشرق ماسينيون المستشرق الفرنسى .

ومما يدحض هذه الاتهامات والأباطيل اكتشاف معالم الكهف والعثور على قرائن وأدلة وبينات تاريخية وأثرية تؤيد ما ورد فى القرآن الكريم كما سيأتى .

وعلى ذكر جيمس ساروغى الذى يعتبر من أقدم من روى قصة أصحاب الكهف باللغة السريانية فقد زرت بطريرك الطائفة السريانية فى دمشق اغناطيوس يعقوب الثالث (عضو مجمع اللغة العربية بدمشق) فى دار البطريركية فى باب توما فى صيف عام ١٩٧٢ فأكد ورود

قصة أصحاب الكهف فى الأسفار المسيحية القديمة ، وأن الساروغى هو أول من تحدث عن هذه القصة باللغة السريانية وقد نظمها شعراً وأنشدنى البطريرك بعض أبيات من هذا الشعر أذكر منها ما قيل عن لسان أولئك الفتية حين طلبوا إلى أحدهم وهو (مليخا) أن يتوجه إلى المدينة ليأتيهم بالطعام : (قم يا عينى واذهب إلى المدينة واشتر لنا خبزاً وطعاماً فقد كان الطعام قليلا وتناولناه فى عشائنا أمس) .

ويقول أيضاً : إن وفاة هذا الساروغى كانت عام ٥٢٠ م

*****

يمكننى أن أؤكد بأن تفاصيل قصة أصحاب الكهف والرقيم التى وردت فى معظم التفاسير القرآنية والكتب التاريخية الإسلامية مستقاة من مصدر مسيحى واحد ، إذ لم نطلع على أى حديث نبوى أو أى قول من أقوال الصحابة تناول هذه التفاصيل ، فالقرآن الكريم هو المصدر الوحيد لمجمل هذه القصة التى وردت فى سورة الكهف والغرض منها : إثبات القدرة الإلهية على بعث الأجسام ومخالفة السنن الكونية والنواميس الطبيعية ، وبناء العقيدة السليمة المجردة من أدران الشرك ، وإثبات الوحدانية بأسلوب واضح رفيع ، وإنذار الكفار الذين قالوا : اتخذ الله ولداً ، وتبشير المؤمنين بالأجر الحسن الخالد فلم يكن ثمة داع لسرد تفاصيل القصة والتبسط فى وقائعها وتحديد مكان الكهف الذى أوى إليه الفتية وتاريخ ظهورهم وما إلى ذلك من ذكر عددهم وأوصافهم وأسمائهم .

بيد أن جمهرة المفسرين والمؤرخين المسلمين تبسطوا فى هذا الموضوع ونشروا تفاصيل القصة وذكروا عدد أولئك الفتية وأوصافهم وأسماءهم والمكان الذى يوجد فيه الكهف والعصر الذى عاشوا فيه ورووا بهذه المناسبة روايات مختلفة وآراء متضاربة قد يكون أكثرها بعيداً عن الوقائع التاريخية والنظريات العلمية فضلا عما تسرب إلى هذه الروايات من نزعات نصرانية وإسرائيليات لا تتفق بوجه من الوجوه مع أهداف هذه القصة الجليلة وما تنطوى عليه من مغاز بعيدة وعظات بالغة .

ويمكن تلخيص هذه القصة التى تناولها أولئك المفسرون والمؤرخون والتى تتفق فى جملتها إلى حد بعيد مع روايات المصادر المسيحية لأنها مقتبسة منها مع بعض التحريف :

فقد جاء فى المصادر الإسلامية أن أصحاب الكهف الوارد ذكرهم فى القرآن الكريم عاشوا فى عهد أحد طغاة الحكام الرومان وقد عرف هذا الحاكم بجبروته وبطشه وإجباره رعاياه على عبادة الأوثان والسجود لها . ولكن هؤلاء الفتية أصحاب العقيدة الراسخة والإيمان الصادق رفضوا هذه العبادة الوثنية وانصرفوا إلى عبادة الواحد الأحد ، ولما أخذ الحاكم الطاغية يستعمل وسائل العنف ويهدد بالبطش والقتل كل من لا يرضخ لإرادته فى عبادة الأوثان فروا من المدينة التى كان يحكمها والتجأوا إلى كهف قريب من المدينة وجعلوه مأوى لهم وكان يصحبهم كلبهم الذى يتولى حراستهم . وفى هذا الكهف عكفوا على العبادة والصلاة والابتهال إليه تعالى بأن ينقذهم من شر ذلك الحاكم وينشر عليهم ظلال رحمته فاستجاب ربهم لدعائهم وشملهم بالعطف والرعاية وأنامهم نوماً ثقيلا . ثم مات الطاغية ومضت قرون بعده حتى تولى الملك ملك صالح يؤمن بالله وعمت عبادة الأوثان . وكان الناس فى عهده يتجادلون فى موضوع بعث الأرواح والأجساد بعد الموت فأراد الله أن يظهر قدرته فى هذا الموضوع فأيقظ هؤلاء الفتية من نومهم بعد ثلاثمائة من السنين وازدادوا تسعاً ولما استيقظوا توهموا أنهم باتوا ليلة واحدة وأحسوا بالجوع فبعثوا بأحدهم إلى المدينة متنكراً ليأتيهم بالطعام ولكن الناس فى ذلك البلد اشتبهوا بأمره فوشوا به إلى الحاكم الصالح وبعد أن استمع إلى قصته وتأكد من صحة دعواه تذكر الجميع حادث فرار أولئك الفتية وتواريهم عن الأنظار

فى عهد الحاكم الطاغية ، وكان يتحدث عنهم أجدادهم فتوجه الملك إلى الكهف ومعه قواده وأفراد حاشيته ليروا المعجزة الإلهية فى أروع مظاهرها ، ولما وصلوا قبض الله أرواحهم . فأمر الملك بأن يبنى على باب الكهف مسجد (معبد) يصلى فيه وجعل لهم عيداً عظيما يحتفل به فى كل عام .

وتقول المصادر الإسلامية (نقلا عن المصادر المسيحية أيضاً) إن اضطهاد أصحاب الكهف كان فى زمن (دقيانوس) أو (دقيوس) سنة ٢٤٩ — حتى ٢٥١ م وأنه عمد رجلان مؤمنان من حاشية الملك يعلمان بهذا المكان إلى تدوين أسماء هؤلاء الفتية وسرد قصتهم فى رقيم جعلاه فى تابوت من نحاس وضع فى البنيان الذى أمر الملك بإقامته فى مدخل الكهف . ثم تعاقبت السنون وحكم فى تلك المنطقة ملك صالح كان على النقيض من ذلك الملك الطاغية وكان اسمه ثيودوسيوس وقد راعه أن يرى تيارات الفساد والإلحاد وإنكار البعث أخذت تجرف رعاياه فأخذ يدعو إلى الله تعالى ليساعده على كشف هذه الغمة وهداية قومه إلى الطريق القويم فظهرت له هذه المعجزة كما قدمنا .

وجاء فى كتاب (تاريخ مختصر الدول) لأبى الفرج الملطى أن هذا الملك حكم ٤٢ سنة وفى هذا الزمان انبعث أصحاب الكهف من رقدتهم بعد ٢٤٠ سنة بالتقريب فخرج (ثيودوسيوس) الملك مع الأساقفة والقديسين والبطاركة فنظروا إليهم وكلموهم.. فلما انصرفوا من عندهم ماتوا فى مواضعهم ، وتضاربت المصادر المسيحية فى تحديد فترة زمنهم فذهب بعضهم إلى أنها ٢٠٠ أو١٥٧ . وهنا تختلف الرواية المسيحية عن الرواية الإسلامية من حيث تحديد هذه المدة .

وروى الطبرى فى تفسيره هذه القصة على وجه آخر فيقول : عن عكرمة قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم رزقهم الله الإسلام فتفردوا بدينهم واعتزلوا قومهم حتى انتهوا إلى الكهف فضرب الله على صمخانهم فلبثوا دهراً طويلا حتى هلكت أمتهم ثم جاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلماً ، واختلفوا فى الروح والجسد فقال قائل: تبعث الروح والجسد جميعاً ، وقال قائل: تبعث الروح وأما الجسد فتأكله الأرض فلا يكون شيئاً، فشق على ملكهم اختلافهم فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد ثم دعا الله عز وجل فقال : يا رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم ما يبين لهم فبعث الله أصحاب الكهف .. ثم يذكر بقية القصة .

* * *

قطعت جهيزة تضارب هـذه الأقاويل

وفى خضم هذه الأقوال المتباينة والروايات المتضاربة (من إسلامية ومسيحية) حول الزمن الذى ظهروا فيه ، والملك الذى فروا من بطشه . والفترة التى رقدوا فيها فقد برزت الحقائق الثابتة والمعلومات الصحيحة على أثر اكتشاف هذا الموقع فى أعقاب الحفريات وأعمال التنقيب التى قامت بها دائرة الآثار الأردنية ، والدراسات التى واكبت هذه الحفريات وهى تضع الأمور فى نصابها والنقط على الحروف وتصحح الروايات الخاطئة وتؤكد بأن أولئك الفتية (أصحاب الكهف) الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم لم يكونوا فى عصر (دوقيوس) أو دوقيانوس وإنما فى عهد الإمبراطور (تراجان) الذى حكم بين سنة ٩٨ إلى ١١٧م كما تدل على ذلك البينات الأثرية ، فقد أشارت

أسفار التاريخ إلى أن هذا الطاغية كان يسجد للأوثان ويقضى بالموت على كل من رفض عبادة آلهته ويقدم لها القرابين وأصدر مرسوما بذلك وكان المسيحيون فى فترة حكمه يلاحقون ويقتلون (راجع كتاب تاريخ سورية لفيليب متى) ، ثم أفاقوا من نومهم فى عهد الإمبراطور الصالح (ثيودوسيوس) فى الفترة الواقعة بين ٤٠٨ و ٤٥٠ ، وتضيف هذه البينات والقرائن إلى أن الإمبراطور الظالم (تراجان) فتح شرق الأردن سنة ١٠٦ وبنى فى عمان المدرج الرومانى الذى لا يزال ماثلا حتى الآن وهو يستوعب نحو (٦٠ ألف شخص) وقد عثر فى هذا المدرج على الآلهة الحجرية والأصنام التى كان يعبدها الرومان فى ذلك العهد ، من أبرز هذه القرائن تلك النقود البيزنطية التى عثر عليها فى الكهف وهى من عهد (تراجان) .

وجميع هذه القرائن والبينات تطابق فترة نومهم كما وردت فى القرآن الكريم (أى ٣٠٠ سنة شمسية) أو ٣٠٩ قمرية (والله أعلم) .

*****



العثور على موقع الكهف

- الخطوات الأولى فى العثور على الكهف .
- الاتصال بدائرة الآثار الأردنية .
- أين موقع كهف الرقيم .
- موقع الكهف فى الروايات المسيحيّة والإسلاميّة .
- أبيات الشاعر "كثير عزة" حول الموقع .
- زيارة أحد قواد صلاح الدين للموقع .
- زوار أجانب يعترفون بمكان الكهف .
- آراء علماء المسلمين فى الهند وباكستان .



كيف تم العثور على الكهف

فى خريف ١٩٥٣ م ، وفى يوم من أيام الجمعة المباركة استأجرت سيارة خاصة بعد أداء الفريضة فى المسجد الحسينى فى عمان واستخرت الله وتوجهت إلى ذلك الموقع وصحبنى أحد الأصدقاء من تجار عمان ، وقد جابهنا بعض الصعوبات فى الوصول إلى ذلك المكان بسبب وعورة الطريق فاضطررنا أن نسير على الأقدام نحو ثلاثة كيلومترات فوصلنا إلى جبل متوسط فى العلو ولكننا لم نجد أحداً يدلنا على الكهف فاسترحنا قليلا وإذا بقطيع من الماشية والأنعام يمر من أمامنا ومعها راعى القطيع (وهو من عرب الشوابكة الذين يقيمون فى قرية مجاورة تدعى الرجيب بلغة أهل البادية) فسألناه عن موقع الكهف فسار معنا مئات الأمتار حتى أوصلنا إليه فإذا نحن أمام غار مظلم ، وهو يقع فى جبل مقفر ومكان مهجور ، وقد تعذر علينا دخول الغار لشدة الظلام فيه ، وقد أخبرنا الراعى أنه يوجد داخل الغار بعض الأضرحة وفيها عظام بالية ، وباب الغار يتجه إلى الجنوب وعلى جانبيه عمودان منحوتان فى الصخر ، ولفت نظرى وجود نقوش بيزنطية فوق العمودين . وكانت تغطى الغار من جميع جوانبه أكوام من الحجارة والأتربة والأنقاض ، وعلى بعد مائة متر شاهدنا قرية صغيرة تدعى (الرجيب) كما شاهدنا كهوفا أخرى على مقربة من هذا الكهف .

وقد بادرت على الفور إلى التقاط بعض الصور الشمسية وأعتقد أنها أول صور فوتوغرافية التقطت عن الكهف وبادرت فور عودتى إلى نشر مقال فى جريدتى « الجزيرة » التى كانت تصدر فى عمان وأخرى فى مجلة « الشرطة والأمن العام » التى كانت تصدر فى دمشق

مزدانة بتلك الصور، وقد أهبت فى المقالين برجال البحث وأهل الفكر وعلماء الآثار إلى العناية بهذا الموقع والقيام بدراسات وتحقيقات وإجراء حفريات للكشف عن معالمه .

الاتصـــال بدائرة الآثار :

ثم بعثت بكتاب إلى مدير الآثار فى عمان (وكان انجليزيا) طلبت إليه أن يزور هذا الموقع الأثرى ويشمله بعنايته وأرفقت الكتاب بالمقالين ولكنه لم يعر كتابى أى اهتمام ، وفى عام ١٩٦١ أسند هذا المنصب (منصب مدير الآثار) إلى المرحوم الدكتور عونى الدجانى فبادرت إلى زيارته فى مكتبه وتحدثت إليه عن هذا الموقع بحضور مساعديه الأستاذ محمود العابدى والمرحوم الأستاذ رفيق الدجانى وطلبت إليه بإلحاح أن يتوجه إلى ذلك المكان ويشاهد بأم عينيه تلك النقوش والزخارف المحفورة على جوانب بابه الحجرى فاستجاب (رحمه الله) إلى طلبى وتوجهنا على الفور هو ومساعداه وكاتب هذه السطور ، وما كاد يلقى نظرته الأولى على واجهة الكهف وما برز فيها من نقوش حتى اقتنع بضرورة إجراء حفريات سريعة والعمل على إزالة الأنقاض والرمم، وعهد إلى مساعديه باتخاذ الإجراءات اللازمة للقيام بهذه الأعمال بالتعاون مع رابطة العلوم الإسلامية التى أتشرف برئاستها ومجموعة «كشافة فتيان الرسول» التابعة للرابطة ثم عدنا إلى دائرة الآثار لتحديد الأعمال المطلوبة ومدى إسهام الرابطة فى هذه الأعمال .

وتأكيداً على ضرورة الإسراع فى أعمال الحفر والتنقيب فقد بعثت إلى مدير دائرة الآثار المذكور باسم رابطة العلوم الإسلامية كتاباً رقم ٣٨ بتاريخ ٢٦-١٠-١٩٦١ أطلب فيه الإسراع بأعمال الحفر والكشف عن معالم هذا الموقع الأثرى العظيم وعن الكهوف الأخرى المجاورة له ، فتلقيت منه الرد التالى :

دائرة الآثار العامة

الرقم : ١٨-٣٩-١٤٢٦
التاريخ : ٢٩-١٠-١٩٦١ م
الموافق : ٢٠-٥-١٣٨١ هـ

الأستاذ رئيس رابطة العلوم الإسلامية

إشارة لكتابكم رقم ٣٨ وتاريخ ٢٦-١٠-١٩٦١

إن هذه الدائرة لتشكر لكم رغبتكم فى صيانة بعض الكهوف القريبة من الرجيب (الرقيم) وأننا على استعداد للتعاون معكم إلى أقصى حد فى صيانة تلك الكهوف التاريخية .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

مدير الآثار
عونى الدجانى

ويظهر أن المخصصات المالية لم تكن متوفرة آنئذ لدى دائرة الآثار لتنفيذ وعدها فى حينه وفى أوائل شهر نيسان (ابريل) عام ١٩٦٣ زرت دائرة الآثار وبحثت مع المرحوم الدكتور عونى الدجانى ومساعديه الموضوع نفسه فاتفقنا على أن تباشر الدائرة القيام بأعمالها. وفى اليوم التالى تلقيت من الدكتور الدجانى مدير الآثار الكتاب الآتى :

دائرة الآثار العامة - عمان

الرقم : ١٨-٤٣-٤٣
التاريخ : ١٥-٤-١٩٦٣

حضرة الأستاذ تيسير ظبيان المحترم
ممثل رابطة العلوم الإسلامية - عمان

تثبيتاً للحديث الشفهى الذى جرى بيننا لدى زيارتنا لموقع الكهف الأثرى :

١ – ستقوم دائرة الآثار بتعزيل الأنقاض المتراكمة فى داخل الكهف وفى ساحته وعلى ظهره .

٢ – ليس لهذه الدائرة اعتراض على إعادة بناء المسجد الإسلامى الذى كان فوق هذا الكهف من قبل .

٣ – وكذلك فإنها لا تمانع فى إيجاد حديقة تفتحونها لتضيف جمالا على قدسية هذا المكان .

٤ – إن هذه الدائرة لعلى استعداد تام لتشارك فى ترميم هذا المكان الأثرى وتسهيل الزيارة إليه ، وستباشر أعمالها فوراً .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

عونى الدجانى

مدير الآثار

أين موقع كهف الرقيم ؟

الروايات المسيحية :

إن السؤال الذى يتبادر إلى الأذهان ويدور على الألسنة لأول وهلة : أين يقع هذا الكهف الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم والذى أوى إليه أصحاب الكهف والرقيم ؟؟؟

وجوابنا على هذا السؤال : إن موقع الكهف المذكور قد تضاربت حوله أقوال المفسرين والمؤرخين المسلمين لأن الكتاب الكريم لم يحدد مكانه ، وكذلك لم يرد فى الأحاديث النبوية الشريفة أية إشارة إلى موقع هذا الكهف ، وجميع الروايات الإسلامية استندت إلى المصادر المسيحية التى تحاول لأسباب ونعرات عقائدية الزعم والتأكيد بأن موقع النيام السبعة (إذا كانوا هم أصحاب الكهف الحقيقيين) يوجد فى بلاد الروم (الأناضول فى تركيا) وفى بلدة تدعى (افسوس) بالقرب من البحر الأبيض المتوسط دون أن يستندوا فى هذا الزعم أو التأكيد إلى أية بينات أثرية أو أدلة تاريخية أو جغرافية . ومن المؤسف حقاً أن معظم مفسرينا ومؤرخينا حذوا حذوهم وذهبوا مذهبهم شأنهم فى جميع القصص الواردة فى القرآن الكريم دون أى تمحيص أو أثارة من علم ، والإسرائيليات لعبت دورها فى هذا المضمار وما انبثق عنها من المصادر الأخرى كما هو ثابت ومعروف فى معظم تلك القصص . ومن الأسباب التى حملت المؤرخين ورجال الكهنوت من المسيحيين على التزام هذا الموقف والإصرار على هذا الرأى — باعتبار أن (إفسوس) كانت من أهم المراكز الرئيسية للدعوة النصرانية ، وكانت قبل تنصرها مركزاً

لعبادة (ارتميس) الآلهة اليونانية وكان تمثالها يرتفع وسط المدينة .
ويقول الأستاذ محمود العابدى فى الكراس الذى وضعه عن كهف الرجيب (الرقيم) : « إن القضايا التى شغلت بال الكنيسة فى ذلك الحين القيامة من الموت ، وقد اشترك مفكرو إفسوس فى بحث هذه المشكلة ، ولا يبعد أن تكون قصة الفتيان الثمانية وقيامتهم وضعت لإثبات حقيقة القيامة بالجسد » .

ومن أقدم المصادر المسيحية كتاب وضعه باللاتينية مؤرخ إفرنسى يدعى (اسپانى) وقد عهد إليه (غريغورى) أسقف مدينة (تور) فى فرنسا بترجمة هذه القصة من اليونانى مع أنه لم يعثر على الأصل اليونانى .

على أن أكثر المصادر المسيحية تذكر أن أول من كتب عن أولئك النيام (أهل الكهف) هو (جيمس الساروغى) باللغة السريانية كما ذكرنا .

ومن الذين كتبوا عن هؤلاء النيام (إدوار جيبون) فى كتابه « سقوط الإمبراطورية الرومانية » نقلا عن (اسپانى) وعن كتاب باليونانية القديمة (أوقات الصلاة) لواضعه (ميريكيوس) سنة ١٨٨٢ فى القسطنطينية ، وقد شايعه فى هذا الرأى المستشرق الألمانى اليهودى الدكتور (شاخت) فقد أجاب على سؤال فى مجلة (المستمع العربى) التى كانت تصدر فى لندن قبل نيف وعشرين عاما ورجح وجود الكهف فى إفسوس كما أنه لم يستبعد احتمال وجوده فى الرقيم (قرب عمان) أيضاً . . .

وبحث هذا الموضوع أيضاً الدكتور أنيس فريحة الأستاذ فى جامعة بيروت الأميريكية فقد كتب بحثاً فى مجلة (الأبحاث) أشار فيه إلى وجود الكهف فى (إفسوس) نقلا عن المصادر الإغريقية والسريانية .

وكذلك فعل المستشرق الفرنسى (لويس ماسينيون) فقد نشر كتاباً عام ١٩٦١ باسم (النائمون السبعة — أهل الكهف **Les sept Dor mants**) باللغة الفرنسية أتى فيه ببعض البيانات والاستنتاجات التى تدعم وجهة نظره الدينية ، وقال نقلا عن الدكتور غيشوند **(gshund)** ما ترجمته : (لقد كان لأهل الكهف فضل كبير على تقوية إيمان المسيحين البدائية فى مدينة (إفسوس) وذلك لأن المسيحيين نظروا إلى نوم السيدة مريم المجدلية والقديس يوحنا كنوم أهل الكهف من حيث إخلادهم للرقاد ثم بعثهم) .

وتبع المسيو (ماسينيون) فى هذا البحث شخص آخر يدعى (جان كلود بيكارد) فقد أطلق على هذه القصة الدينية اسم (حجر الزاوية للحوار الإسلامى المسيحى) من حيث اتفاق الديانتين على فكرة (الإخلاص والفناء فى عبادة الله والصمود فى وجه الاضطهاد والتعذيب ، وإثبات نظرية إحياء الجسد والروح) .

* * *

موقع الكهف فى الروايات الإسلامية

وعلى الرغم مما ذهب إليه معظم المفسرين والمؤرخين المسلمين نقلا عن المصادر المسيحية عن أن كهف (الرقيم) موجود فى (إفسوس) فهناك عدد لا يستهان به من الصحابة والأمراء والقواد (حتى من المفسرين والمؤرخين) يؤكدون وجود الكهف فى الموقع الذى تم اكتشافه مؤخراً على مقربة من عمان كما سيأتى .

ومما يذكر بهذا الصدد أن كلمتى (الكهف والرقيم) كانتا تردان على ألسنة القوم فى الجزيرة العربية ، فنى شعر لأمية بن أبى الصلت وردت هاتان الكلمتان فى قوله :

وليس بها إلا الرقيم مجاوراً ... وصيدهم والقوم فى الكهف هجد

وجاء هذا البيت فى قصيدة له مطلعها :

لك الحمد والنعماء والملك ربنا ... فلا شىء أعلى منك جداً ولا مجداً

ومن المعلوم أن هذا الشاعر الجاهلى كان على دين أهل الكتاب ولعله عرف هذه القصة منهم .

ومن الروايات الإسلامية القديمة أن الصحابى عبادة بن الصامت بعثه الخليفة أبو بكر رسولا إلى ملك الروم يدعوه إلى الإسلام وأنه مر على مغارة فيها أجسام غير بالية ويعتنى بها فى جبل الرقيم على مقربة من طريق القوافل بين الشام والحجاز (الموقع الذى تم اكتشافه يقع على طريق الشام والحجاز) .

وجاء فى بعض التفاسير أن سعيد بن جبير روى عن ابن عباس أنه قال : غزونا مع معاوية غزوة المضيق نحو الروم فمررنا بالكهف

الذى فيه أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن الكريم فقال معاوية : لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم؟ فقال له ابن عباس : ليس ذلك لك قد منع الله تعالى ذلك من هو خير منك ، فقال « لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً » فقال معاوية : لا أنتهى حتى أعلم علمهم . فبعث رجالا وقال اذهبوا فادخلوا وانظروا فذهبوا فلما دخلوا بعث الله تعالى عليهم ريحاً فأخرجتهم .

وفى رواية أخرى لعكرمة أن ابن عباس غزا مع حبيب بن مسلمة فروا بالكهف فإذا فيه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس : (لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة) ويضيف القرطبي فى تفسيره إلى هذه الرواية إلى أن أحد الرهبان سمع قول ابن عباس فقال : ما كنت أحسب أن أحداً من العرب يعرف هذا ، فقيل له : هذا ابن عم نبينا صلى الله عليه وسلم .

وهذه الروايات الثلاث تدل على أن موقع كهف الرقيم كان معروفا فى صدر الإسلام وأن رجال الصحابة الذين ورد ذكرهم قد مروا من هذه المنطقة دون غيرها .

وروى الرازى قصة غريبة فى تفسيره .. وهى أن القفال حكى عن محمد بن موسى الخوارزمى المنجم : أن الواثق أنفذه ليعرف حال أصحاب الكهف إلى الروم وقال : فوجه ملك الروم معى أقواماً إلى الموضع الذى يقال أنهم فيه (ولا جرم أنه يقصد كهف افسوس الذى يقع فى بلاد الروم آنئذ) قال : وأن الرجل الموكل بذلك الموضع أفزعنى من الدخول عليهم ، قال فدخلت ورأيت الشعور على صدورهم . قال : وعرفت أنه تمويه واحتيال وأن الناس قد عالجوا تلك الجثث

بالأدوية المجففة لأبدان الموتى لتصونها من البلى مثل التلطيخ بالصبر وغيره . ثم قال القفال : والذى عندنا لا يعرف أن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف ، ولا عبرة لقول أهل الروم : إن ذلك الموضع هو موضع أصحاب الكهف .

وليت شعرى هل ثمة رواية تاريخية فى العصر الإسلامى المتقدم أقوى من هذه الرواية لدحض مزاعم القائلين بأن موضع الكهف هو فى إفسوس . . .

ومن أهم الروايات الإسلامية وأجدرها بالثقة والاعتبار تلك القصة المثيرة التى رواها الواقدى فى كتاب (فتوح الشام) وهى من أقوى الأدلة التاريخية التى تشير إلى أن موقع كهف (الرقيم) كان معروفا لدى المسلمين الأوائل ، وسنأتى على ذكر هــذه القصة فى هذا الفصل (وهى قصة الصحابى سعيد بن عامر)

* * *

أبيــات كثير عزة

ومن الروايات التى عثرنا عليها أن أبا عبد الله البشارى المقدسى أشار إلى هذا الموقع (قرب عمان) واستشهد بما ورد فى شعر كثير عزة فى قصيدته التى بشر فيها يزيد بن عبد الملك بالخلافة قال :

أمير المؤمنين إليك نهــوى ... على البخت الصلادم والعجوم
إذا اتخذت وجوه القوم نصباً ... أجيج الواهجات من السموم
فكم غادرن دونك من جهيض ... ومن نعــل مطرحــة جذيم
يزرن على تنــائيه يزيــداً ... بأكناف الموقــر والــرقيم
نهنئه الوفـــود إذا أتـوه ... بنصر الله والملك العظيــم

والموقر والرقيم كلاهما على مقربة من عمان وفيهما قصور أموية ورومية كما توجد أنقاض قصور أموية أخرى فى تلك المنطقة .

ويقول الأستاذ العابدى فى كتابه (الآثار الإسلامية) أن المقدسى المذكور بحث عن مكان قريب من قصر الموقر المعروف إلى أن اهتدى إلى قرية الرجيب (الرقيم) وقال إنها محرفة عن الرقيم ولا سيما وأن فى القرب منها كهوفاً تستدعى النظر ، وجاء فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) : والرقيم بلد فى شرق الأردن بالقرب من عمان حيث وجدت مغارة فيها عدد من الجثث غير البالية . ولما كان المقدسى جغرافياً معروفاً فقد أخذ منه من جاء بعد من الجغرافيين المسلمين ولا سيما السائح الهروى إذ أثبت رأى المقدسى فى كتابه .

وممن أيدوا هذا الرأى ياقوت الحموى فى (معجم البلدان) قال : عمان بلد فى أطراف الشام وكانت قصبة أرض البلقاء وبالقرب منها الكهف والرقيم .

*****

زيارة أحد قواد صلاح الدين

وممن زاروا هذا الموقع وكتبوا عنه الأمير أسامة بن منقذ من قواد صلاح الدين الأيوبى فقد جاء فى كتابه « الاعتبار » عن هذه الزيارة : « وسير معى نور الدين عين الدولة الباروقى ثلاثين فارساً فاجتزت فى طريق الكهف والرقيم فنزلت فيه ودخلته وصليت فى المسجد ولم أدخل فى ذلك المضيق الذى فيه (يريد على ما نعتقد الفوهة التى اكتشفت والتى تصل بين الكهف والمسجد فوقه) فجاء أمير من الأتراك الذين كانوا معى يقال له (برشق) يريد الدخول فى ذلك الشق الضيق قلت له : صل برا . قال : لا إله إلا الله أنا حرام حتى لا أدخل

فى ذلك الشق الضيق قلت : أى شىء تقول.. قال هذا الموضع ما يدخل فيه ولد زنا والله يعلم ما أصدق ما قاله . وجاء أكثر العسكر فدخلوا وصلوا . ومعى فى الجند براق الزبيدى ومعه عبد أسود له كثير الصلاة أدق ما يكون من الرجال وآدبهم فجاء إلى ذلك الموضع وحرص بكل حرص على الدخول فما قدر فبكى المسكين وتوجع وتحسر وعاد بعد الغلبة عن الدخول » .

*****

زوار أجانب يعترفون

وفى عام ١٨٦٨ زار المستشرق الفرنسى (كلير مونت غانو) قنصل فرنسا فى القدس (فى العهد العثمانى) زار Cler mant Gauneau هذا الموقع كما زار غيره من الأماكن الأثرية فى فلسطين وشرق الأردن ووافق الجغرافى المقدسى على أن هذا الكهف هو الكهف الوارد ذكره فى الروايات المسيحية والقرآن الكريم وكان هذا المستشرق من علماء الآثار المعروفين فى ذلك العصر .

وفى عـام ١٨٨٠ أوفدت جمعية التنقيب الفلسطينية Palestine Ex lorat on Fund الموجودة فى لندن مندوبين إلى الأردن لمسح الأرض فى تلك الأنحاء وقد زار المندوبان موقع الكهف ونشر أحدهما وصفا مسهباً له فى كتاب (مساحة فلسطين الشرقية) المطبوع عام ٨٨٢ م وجاء فى مقدمة هذا الوصف : الكهف مقبرة من أوائل العصر المسيحى ، يوصل إليه بطريق رومانى قادم من عمان ، وقرية الرجيب (الرقيم) للشرق منه . وأشار مؤلف الكتاب إلى البرج المربع الذى أقيم فوق الكهف . والذى يعتقد بعضهم أنه هو المسجد الوارد ذكره فى القرآن الكريم كما وصف المؤلف المسجد الآخر الموجود

أمام باب الكهف والذى اكتشفته دائرة الآثار العامة بعد إزالة الأنقاض ، ومما يذكر أيضاً أنه توجد فى ساحة الكهف شجرتا زيتون وشجرة بطم وهى من الأشجار التى تملأ السهل الأمامى .

ومن زار الموقع باحث يدعى (ازيل فيستر) الذى زار موقع الكهف قرب عمان ونشر مقالا مستفيضاً حوله فى مجلة انجليزية وتحدث فى المقال عن مشاهداته وتحرياته فى هذا الموقع ، واستشهد بأقوال الرواة المسلمين وما رآه من المعالم الأثرية ، ووصف هذه المعالم والنقوش البيزنطية وما فعلته الأيدى المسلمة من تغييرات وسجلته من كتابات فى ذلك الموقع ولا سيا فى إقامة المسجدين ، وعلق على هذه المشاهدات بقوله : (وقد دلت الحفريات الأثرية فى قبور الكهف وما يجاورها على أن الرأى العلمى يسير جنبا إلى جنب مع الوصف القرآنى لأهل الكهف) .

وذكر لى العالم الأثرى الأستاذ رفيق الدجانى بأن الدكتور (هوج نبلى) أستاذ الدين والآثار فى جامعة (يانغ برجهام) فى الولايات المتحدة نشر بحثاً وافياً عن موقع الكهف بعد أن اطلع على الحفريات التى أجريت فى موقع (الرجيب) وأكد أنه هو الكهف المقدس لدى المسيحيين والمسلمين لا كهف إفسوس ويعتقد أن أصحاب الكهف عاشوا فى أواخر القرن الأول وبداية القرن الثانى للمسيح وأنهم هربوا بدينهم والتجأوا إلى البلقاء فى الأردن حيث أخذوا يمارسون عبادتهم خفية عن السلطات الحاكمة ، وفى سنة ١١٢ أصـــدر الإمبراطور تراجان مرسوماً يقضى بإدانة كل مسيحى لا يقدم القرابين للأوثان .

رأى الشيخ أبو الأعلى المودودى

فى شهر يناير ١٩٦٠ وصل إلى عمان مولانا أبو الأعلى المودودى العالم الباكستانى المعروف فى رحلة قام بها فى الأقطار العربية لزيارة الأماكن المقدسة الإسلامية ، وقد اتصل بى لدى وصوله وطلب إلى أن أرشده إلى الكهف الذى تم اكتشافه حديثاً ، فلبيت طلبه وأرشدته إليه . وبعد زيارته للكهف المذكور وغيره من أضرحة الصحابة والمزارات الإسلامية فى الأردن توجه إلى الديار الحجازية وبعض أقطار الجزيرة العربية لزيارة الأماكن الإسلامية فيها ، ولدى عودته إلى الباكستان وضع كتاباً عن هذه الرحلة التاريخية الفريدة وعنوان الكتاب (سفرنامه أرض القرآن) باللغة الأوردية وهو مزدان بالخرائط الجغرافية والصور الشمسية وفى الكتاب فصل خاص عن كهف أصحاب الكهف وقد جاء فيه ما يلى :

« فى ١٠ يناير سنة ١٩٦٠ زرنا هذا الغار (كهف الرقيم) ويعتقد السكان المجاورون لهذا الموقع أن أصحاب الكهف الذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم موجودون فى هذا الغار الذى يبعد نحو سبعة أميال عن عمان ، وعلى مقربة منه توجد قرية صغيرة اسمها (الرقيم) ويطلق عليها البدو اسم (الرجيب) وهى محرفة من اسمها القديم (الرقيم) ولدى دخولنا الكهف لم نتمكن من رؤية أى شىء فى داخله لأن الظلام كان مخيما عليه على الرغم من سطوع الشمس . وقد لاحظنا أنه توجد فوق هذا الغار وفى أمكنة قريبة منه آثار أبنية حجرية منحوته فى الصخر يرجع تاريخها إلى زمن قديم ، كما لاحظنا أن الشمس تزاور عن الكهف عند بزوغها وتميل عنه لدى غروبها » .

ويلاحظ أن هذه الزيارة وقعت قبل إجراء الحفريات :

بسم الله الرحمن الرحيم

أبو الأعلى المودودي
(أمير الجماعة الإسلامية بباكستان)

الرقم: ٢٢٨
التاريخ: ١٣/١٢/١٣٩٠هـ
١٠/٢/٧١م
المرفقات: ....

الأخ الكريم محمد تيسير ظبيان حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : وبعـــد ،

فقد تلقيت رسالتكم الكريمة قبل مدة بعد الانبساط والارتياح ومعها نسخة من عدد (مجلة الشريعة) التي تتضمن بحثاوانها فيما يتعلق بموقع الكهف ، ولا يسعني الا أن اتقدم اليكم باجزل شكري وأخلص تقديري لما قمتم به من تحقيق رائع ودراسة مستوفية لهذا الأثر الاسلامي المقدس، واحسنتم اذاقمتم في موقع الكهف مسجدا ومدرسة وضاحية باسم ناحية الكهف وارجو من الله تعالى أن يكتب لهذا المسجد والمدرسة ازدهارا وخلودا ، وان صحتي هذه الايام منحرفة تماما حيث لا استطيع المشي والحركة واعاني من الآلام ما اعاني ولوكنت متمتعا بصحة جيدة لقمت بالرحلة الى هذه الآثار المقدسة واستفدت ماجدّ عنها من معلومات واكتشافات، واني ارجو منكم أن توافوني باستمرار بما يصل الى علمكم من معلومات ودراسات عن الآثار الاسلامية التي لديكم كما ارجو أن تواصلوا ارسال مجلتكم (الشريعة) التي تنشر هذا النوع من الدراسات.

هـــذا ، وارسل اليكم نسخة من كتاب (ارض القرآن) بالاردو حسب طلبكم وصورتيضم بعض الصور العكسية لما زرتها من الاماكن الاثرية وأخيرا اهديكم اصدق التحيـــات

المخلص

(توقيع)

ابو الاعلى المودودي

5-A, ZAILDAR PARK, ICHRA, LAHORE - (PAKISTAN)

صورة الخطاب الذي بعثه الإمام أبو الأعلى المودودي إلى المؤلف



آراء علماء الهند وباكستان

وحين زرت (باكستان) فى عامى ١٩٧٤ و ١٩٧٦ التقيت ببعض علمائها الأعلام وبحثت معهم فى هذا الاكتشاف فإذا بهم يتفقون معنا فى هذا الاكتشاف ويرجحون وجود (الكهف) المذكور فى القرآن الكريم فى الموقع الذى اكتشفناه وبين الذين قابلتهم مولانا كوثر نيازى وزير الأوقاف والإعلام وقال لى : إن مولانا أبو الكلام أزاد من زعماء المسلمين ووزير المعارف فى حكومة الهند وقف إلى جانب هذا الرأى فى تفسيره الذى وضعه بالأردية وترجم إلى الإنكليزية . وقال لى مولانا محمد شفيع مفتى باكستان حين قابلته فى كراتشى أنه يعتقد بأنه لا يوجد كهف آخر فى أى بقعة من بقاع الأرض تنطبق عليه الأوصاف التى وردت فى القرآن الكريم غير الكهف الذى تم اكتشافه قرب عمان وأنه أيد ذلك فى التفسير الذى وضعه مؤخراً باللغة الأوردية .

وقد توفى رحمه الله فى غضون إعداد هذا الكتاب .

*****



أعمال الحفر والتنقيب
في
الموقع

- تقارير دائرة الآثار الأردنية قبل الحفريات .
- البدء بالحفريات وتقرير مساعد دائرة الآثار الأردنية .
- تخطيط الحفر داخل الكهف .
- التخطيط في ساحة الكهف .
- نتائج أعمال الحفر والتنقيب .



أعمال الحفر والتنقيب

وتقارير دائرة الآثار عن هذه الأعمال

قبـــل الحفر :

كان الموقع في ٣-٦-١٩٦٣ (كما ورد في التقارير التي وضعتها دائرة الآثار بإشراف المرحوم رفيق الدجاني مملوءاً بالطمم والركام لا يظهر من المسجد العلوي فوق الكهف سوى ثلاثة مداميك من الحجارة البيزنطية من قرنتيه : الشرقية الجنوبية ومدماكين من زاويته الجنوبية الغربية وطرف من العمود الجنوبي أمام ساحة المسجد الشرقي . ولم يكن هناك شيء ظاهر من حيطان المسجد ولا محرابه ولا درج مئذنته . كما أن المسجد الجنوبي كان مغطى بالطمم والركام ولم يكن هناك شيء يدل عليه . وكان ظاهراً من الحائط الغربي لمساحة الكهف ثلاثة أو أربعة حجارة ضخمة بيزنطية والباقي مغطى بالردم . أما ساحة الكهف وكانت مليئة بالردم والحجارة والقبور الحديثة وكان الردم على علو متر وسبعين سم من سطح الأرض ويغطي الردم ربع بابه . أما داخل الكهف وكان مليئاً بالطمم لعلو ٨٠ سم من سطح أرضه وفي بعض الأماكن يعلو أكثر من متر . وكان داخل الكهف مليئاً بالمدافن الحديثة والقديمة . والنواويس الحجرية الستة لم يكن ظاهراً منها سوى أربعة وهي مليئة بالعظام البشرية وبعض الحجارة كما كان بين كل من الناووسين مدفن آخر بنيت واجهته من الحجارة . وعثرنا في الساحة الشمالية من داخل الكهف على عدة قبور فيه وعلى « مركس » مبني من الحجارة سدت أعلاه بحجارة .

وكان يفصل الساحة الشمالية داخل الكهف عن ساحته الوسطى والمدافن قوس رومانى بنى من الحجارة الضخمة ومزخرف بالزخرفة الرومانية المعروفة (زخرفة البلح) وزخرفة البيض التى نشاهد أمثالها على عتبات أقواس المدرج الرومانى فى عمان وعلى المعبد الرومانى فى جبل القلعة وعلى أبنية جرش والبتراء وترجع بتاريخها إلى القرن الأول والثانى الميلادى وداخل الكهف منقوش فى الصخر الأصم سقف ساحته الوسطى مسطح وسطح الساحة الشرقية برميلى وكذلك الغربية ، أما الشمالية فمعقود بشكل صليب ويرتكز العقد على دعامات بنيت من الحجارة الرومانية الضخمة ودل طراز النقش والحفر عليها بأنها رومانية .

وجاء فى هذه التقارير أن الموقع فى ذاته يقع على السفح الجنوبى لجبل قليل الارتفاع (هو جبل الرقيم) يشرف على مناظر خلابة وسهول واسعة يمتد البصر عبرها إلى مدى واسع كما يبعث النظر فيها إلى التأمل والعبادة . إن الموقع منزو عن المارة بعيد عن الطريق المعبدة وعن (طريق عمان ــ مأدبا ــ الكرك ــ العقبة) مسافة ثلاثة كليومترات . والكهف لا يمكن أن يراه المــار من الطريق ولا أن ينتبه إليه إلا إذا قرب منه ووصله وقمنا قبل الحفر بالكشف فى المنطقة حول الكهف فعثرنا على كهف فى الجهة الغربية منه على بعد ٥٠٠ متر تقريبا . وهو مذكور فى سجلات مواقعنا الأثرية . وكان هذا الكهف جميل النحت والقطع وبابه مغلق ببلاطه تحت الأرض وواجهته مزخرفة بزخارف النبات ودوالى العنب ومنحوته على إفريز مثلث الشكل فوق قوس منقور فى الصخر يرتكز على عمودين منحوتين فى الصخر . كما عثرنا على كهف آخر بثلاث قناطر مسطحة ينزل إليه بدرج وعلى ثالث آخر بابه صغير هبط إليه بثلاث درجات وتحيط بمنطقة الكهف كثير من المدافن الرومانية والبيزنطية المنقورة فى الصخر .

البدء بالحفريات وتقرير المرحوم الدجانى

وجاء فى التقرير الذى وضعه أيضاً المرحوم الأستاذ رفيق الدجانى المساعد لمدير الآثار ورئيس البعثة التى قامت بإجراء الحفريات وأعمال التنقيب : قبيل ١٠-٦-١٩٦٣ طلب مدير الآثار أن أعد الحملة لنبدأ العمل ، فجهزنا ما يلزم لخمسين عاملا من أدوات الحفر وأحضرنا (شادرا كبيراً) ، وقد أسعفتنا **رابطة العلوم الإسلامية مشكورة بثلاث خيام** لاتخاذها مخزناً للعدة ومكاناً للمنامة . وتألفت البعثة من :

١ — السيد رفيق الدجانى المساعد الفني لمدير الآثار مديراً للحفر والدراسات .

٢ — محمد الغوج محافظاً للآثار ، واستبدل بعد أسبوعين بالسيد فائز الطراونة الذى نقل مؤخراً لمراقبة أعمال الحفر فى الربة .

٣ — يوسف عبد الرحمن مراقباً عاما للعمل .

٤ — خمسة عمال فنيين مدربين .

٥ — خمسين عاملا من أبناء المنطقة .

وتسهيلا لأعمال الحفر وقضاء المصالح للعمال فقد سمحنا لأحد أبناء قرية أبو علندة بفتح دكان لبيع العمال ما يلزمهم وبعد أن وصف الأستاذ الدجانى التخطيط الذى أعد للحفر فى المنطقة الواقعة فوق الكهف قال : على عمق ٨٥ سم من سطح الأرض عثرنا على قطعة نقود نحاسية ترجع بتاريخها إلى الإمبراطور جستينيوس الأول (٥١٧—٥٢٧) فدلت هذه المسكوكة على تاريخ البناء البيزنطى . كذلك عثرنا على قطع فخار بيزنطى ثم عثرنا على قطعة نقود نحاسية من زمن الملك الناصر يوسف بن أيوب (صلاح الدين) وبعد ذلك عثرنا على قطعة

أخرى يرجع تاريخها إلى زمن الملك جستنيوس الأول مما يدل دلالة واضحة على أن البناء البيزنطى من عهد هذا الملك . وعلى امتداد الحفر من الجهة الجنوبية عثرنا على بناء نصف دائرة من البناء الإسلامى وكان بهذا البناء محراب المسجد، واكتشفنا تاريخ عمارة المسجد مخطوطاً على لوحة حجرية داخل البناء .

ويقول الأستاذ الدجانى فى تقريره : وشرعنا بتنظيف الساحة الشرقية للبناء فظهر عمود بيزنطى وإلى جانبه عمود آخر . ثم عثرنا على فوهة بئر مقصورة وبعض قطع فخار مزخرف بالزخرفة الإسلامية داخل فوهة البئر وزاد فى اعتقادنا أنها أباريق وضوء كما كشف الحفر عن غرفة مربعة مساحتها تقرب من (٥٠ ، ١ مترا) ويعتقد أنها كانت مسقوفة وأن سطحها كان يستعمل كمئذنة لأداء الأذان ، وتكشف الحفر عن محراب المسجد فى الداخل ، كما عثرنا على لوحة حجرية مخطوطة ومكسورة تبدأ بالبسملة بالخط الكوفى القديم . ومن التاريخ الحجرى نستنتج أن المسجد جددت عمارته زمن خمارويه بن أحمد بن طولون سنة ٨٩٥ م وكانت سورية ألحقت بالدولة الطولونية .

وقد كشف الحفر فى وسط المسجد عن أربعة أعمدة مستديرة مرتكزة على قواعد مقطوعة من الصخر . وتبين بعد المسح أن مساحة البناء البيزنطى ١٠ — ١٠ أمتار مربعة وأن المسلمين عندما حولوا البناء إلى مسجد لم يغيروا أو يضيفوا لمساحته شيئاً .

تخطيط الحفر داخل الكهف :

ثم يقول الأستاذ الدجانى : شرعنا بتنظيف الساحة الوسطى للكهف وقد عثرنا على فك حيوان فى وسط الساحة ذى ناب وبه أربعة أضراس

كما عثرنا على قطع نحاسية : رومانية وإسلامية وعثمانية وعلى قطع فخار من مختلف العصور ، وعلى خرز وقلائد وأساور وخواتم نحاسية من العصر العثمانى . كما عثرنا داخل النواويس على ثمانية جماجم بشرية قد تكون من دفن حديث. وبعد تعزيل المدافن (النواويس) من الجهة الشرقية تبين أن عددها أربعة : ثلاثة منها منقورة بالصخر وواحد بين الثلاثة بنيت واجهته من الحجارة ، وقد حفر عليها أحرف باللغة اليونانية . وكان أحد هذه النواويس الحجرية مزخرفاً بنجمة مثمنة الأضلاع ومن حولها كتابات بالخط الكوفى واليونانى القديم . والناووس الثانى كان مزخرفاً بزخرفة دوائر . وقد عثرنا على كثير من الهياكل البشرية داخل هذه النواويس وعلى كثير من قطع النقود .

ولاحظنا على جدران الكهف كثيراً من الكتابات بالخط الكوفى واليونانى القديم .

التخطيط فى ساحة الكهف :

وبعد إزالة أكوام الردم من أتربة وحجارة فى الساحة الخارجية للكهف جاء فى التقرير الذى وضعه الأستاذ الدجانى قوله : عثرنا على جذع شجرة قديمة من الزيتون يعتقد أنها من العهد الرومانى ، وقبو مسقوف ومعقود بالحجارة الرومانية إلى جانب الشجرة . وذكر بعض المعمرين أنها كانت موجودة لعشرين سنة خلت وكانوا يأكلون من ثمرها ولكن أحد الشيوخ بادر إلى قطعها لأن الناس كانوا يقدسونها ويتبركون بها . وقد شاهدها العالم الأوربى (لندر) عام ١٨٨١ ، وكتب عنها فى كتابه (مسح الضفة الشرقية من الأردن) .

ومما يذكر أن القبو الذى عثر عليه بجوار شجرة الزيتون كان مملوءاً بالهياكل البشرية والعظام النخرة .

وقد كشفت الحفريات التى أجريت فى ساحة الكهف عن مسجد ثان (غير المسجد الأول) يقع فى الجهة القبلية من الكهف وحجارته بيزنطية ضخمة ، وعثر فى داخله على محراب ومنبر من ثلاث درجات كما عثر على قطع من الطوب المشوى الذى كان يستعمل فى بناء القصور الأموية التى أقيمت فى الأردن ولا تزال ماثلة حتى الآن .

وبين الآثار التى عثر عليها عند إزالة الأنقاض خارج الكهف أنقاض معصرة للزيتون تبعد نحو خمسة أمتار عن المسجد الثانى ، وهى تشبه المعاصر الكبيرة التى اكتشفت فى الضفة الغربية من الأردن (فلسطين) .

ومن أبرز ما تم اكتشافه عقب الحفريات كوة أشبه بالنفق طولها أربعة أمتار وعرضها نحو ٤٠ – ٦٠ سم وترتفع عمودياً من أسفل الكهف إلى أعلاه وفوهتها فى أرض المسجد المقام فوق الكهف . وقد عثر على لوحة حجرية سدت بها فوقة الكوة (النفق) . وقد أشار إلى هذه الكوة الأمير أسامة بن منقذ فى كتابه (الاعتبار) عندما زار الكهف كما تقدم .

نتائج أعمال الحفر والتنقيب

ويمكن القول بعد مراجعة التقارير والمستندات المحفوظة لدى دائرة الآثار فى عمان والتى أشرنا إليها بأن نتائج أعمال الحفر والتنقيب التى قامت بها هذه الدائرة بإشراف المرحوم الأستاذ رفيق الدجانى تلخص بما يلى :

١ – وجدت فى داخل الكهف أربعة قبور فى الجهة الشرقية ، وأربعة أخرى فى الجهة الغربية .

٢ – وجدت فى الجهة الشمالية (داخل الكهف) مقصورة متسعة يعتقد أنها هى الفجوة الوارد ذكرها فى القرآن الكريم .

٣ – بعد إزالة الردم والأنقاض من فوق الكهف ظهر المسجد أو الصومعة التى حولها المسلمون الأوائل إلى مسجد ويعتقد أنه هو المسجد المذكور فى القرآن الكريم .

٤ – ظهر مسجد آخر فى الجهة الجنوبية من الكهف وهو مبنى بأحجار بيزنطية .

٥ – وجدت كوة تمتد من أسفل الكهف إلى أعلاه وفوهتها فى أرض المسجد الأول .

٦ – عثر على جذع شجرة زيتون قديمة من العهد الرومانى .

٧ – عثر فوق الكهف على سبعة أعمده رومانية يعتقد أن المسجد كان قد أقيم عليها .

٨ – وجد فى واجهة الكهف وبجانب بابه عمودان مزخرفان وطراز بنائهما يرجع إلى القرن الثالث الميلادى فى العهد الرومانى .

٩ – عثر على نقود نحاسية وفضية : رومانية وبيزنطية وأموية وعباسية وعثمانية ، كما عثر على قلائد وأساور وخواتم وخرز من عصور مختلفة وهى محفوظة فى خزانة متحف الكهف .

١٠ – عثر على بئر ماء وأباريق فخار للوضوء كما عثر على أنقاض المحراب والمئذنة فى المسجدين .

١١ – عثر على جماجم وهياكل عظمية لم تتأكد دائرة الآثار من تواريخ دفنها .

١٢ – برزت على جدران الكهف بعد إزالة الغبار والأتربة كتابات يونانية وعربية بالخط الكوفى

١٣ – فى بعض الكتابات التى ظهرت إشارة إلى أن المسجد الثانى جددت عمارته زمن (خمارويه بن أحمد بن طولون) فى عهد الخليفة الموفق العباسى .

١٤ – وجدت عبارة محفورة فى الصخر بالخط الكوفى (كهف ابن حوا) وقد وجد اسم ابن حوا منقوشاً على بلاطة تاريخ المسجد فوق الكهف سنة ٢٧٧ هـ أى زمن الموفق الخليفة العباسى .

١٥ – يجد الزائر على الحائط الشرقى لقوس الباب عبارة (مسجد لله مجدده سنة ١١٧ هـ وهو يرجع إلى زمن هشام بن عبد الملك بن مروان) .

١٦ – يجد الزائر على القوس الوسطى بالخط الكوفى العبارة التالية : (أنشأنا . . على المغارة مجددا كهفهم سنة عمارته تسعماية) وهذه الفترة هى زمن قايتباى الملك الأشرف سنة ٩٠١ هـ .

١٧ – سنة ٩١٥ هـ يجدها الزائر على الحائط للقوس الوسطى فى الجانب الشرقى وهذا زمن الملك قنصوة الغورى .

١٨ – عثر على كلمة «الوحدانية» مكتوبة على الجدران بخطوط مختلفة .

١٩ – تشاهد على واجهة أحد النواويس الحجرية داخل الكهف نجمة ذات ثمانية أضلاع محفورة فى الحجر وبارزة ويقول خبراء الآثار : إن تاريخها يرجع إلى العهد الرومانى (القرن الثالث) كما تشاهد زخرفة محفورة وبارزة بشكل شرائط على واجهات بعض النواويس

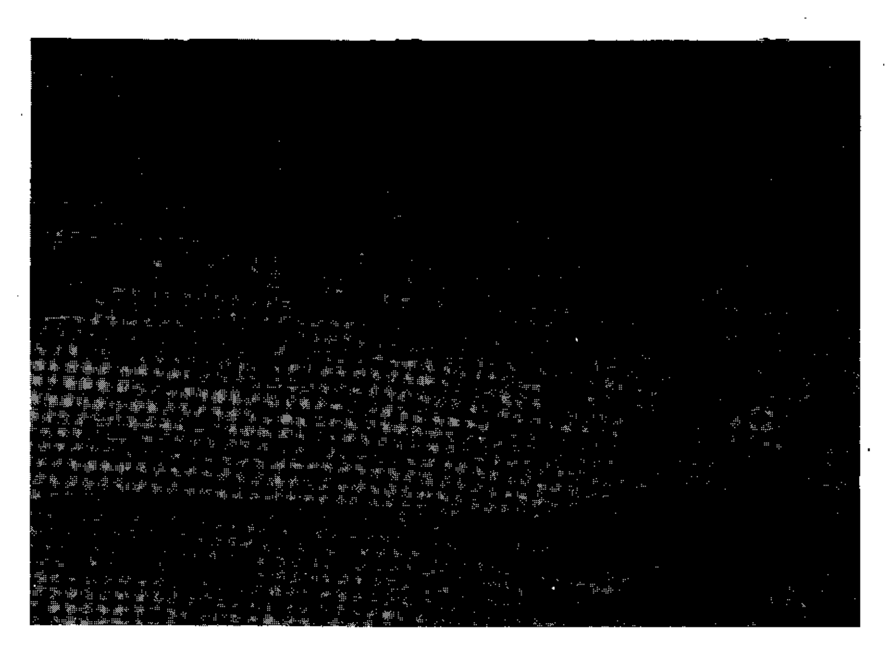
وكانت تستعمل فى العهد الرومانى والبيزنطى . كما يشاهد الزائر على الحائط الشمالى رسم لحيوان يشبه الكلب وحوله كتابات ورموز بالخط اليونانى القديم ، وقد فحص هذه الرموز والكتابات (كما يقول الأستاذ الدجانى) العلامة الأثرى (مكسمان) ووافق على أنه رسم كلب والخط فينيقى ويونانى قديم .

٢٠ ــ وكشفت الحفريات عن معصرة للزيتون يرجع تاريخها إلى العهد الرومانى .

*****



اللوحة التى وضعتها دائرة الآثار قرب موقع الـكهف



منظر عام لجبل الرقيم وقد ظهرت واجهة المسجد القديم الذى بنى فوق الـكهف



مسجد
أصحاب الكهف والرقيم

- تاريخ بناء المسجد.
- إقامة مسجد جديد مكان المسجد القديم.
- مشروعات عمرانية حول موقع الاكتشاف.



مسجد أصحاب الكهف والرقيم

أشرنا فى فصل سابق إلى المسجدين اللذين عثر عليهما أثناء إجراء الحفريات وإزالة الأنقاض والركام والمسجد الأول هو الوارد ذكره فى القرآن الكريم (على ما يعتقد) وقد أقيم فوق (غار الكهف) وكان صومعة (معبداً) فى العهد المسيحى ثم تحول إلى مسجد فى العهد الإسلامى . وفيما يلى وصف شامل لهذا المسجد وتاريخ إنشائه حسبما ورد فى تقرير المساعد الفنى لمدير الآثار العام ورئيس البعثة التى قامت بأعمال الحفر والتنقيب وهو المرحوم رفيق الدجانى .

تاريخ بناء المسجد القديم

إن تاريخ بناء المسجد القائم فوق الكهف يرجع إلى زمن عبد الملك ابن مروان ثم ابنه هشام سنة ١١٧ هـ ومساحة المسجد ١٠ ـ ١٠ أمتار وسمك حيطانه بين ٩٠ — ١٠٠ سم وفتحة بابه متر ومحرابه متر وعشرون سم ، ونصف قطر محرابه متر ونصف وهو مقام على أنقاض صومعة بيزنطية بنفس المساحة وفى وسطه أربعة أعمدة حجرية كانت تحمل قبة المسجد على ما يعتقد ، وأرضية المسجد من القصارة المخلوطة بالحصى والرمل ، وحيطانه مقصورة من نفس تلك المادة ، وعند فتحة الباب من الداخل فوهة النفق الحجرى الموصل داخل المسجد إلى الفجوة داخل الكهف ، وهى التى ذكرها المقدسى فى تاريخه ووصفها السائح الهروى فى كتابه ، وعرض فتحة النفق ٦٠ — ٦٠ سم وطوله ثلاثة أمتار تقريباً ويتصل أسفله بحائط الكهف من الجهة الشرقية عند المسجد وهو مبنى من الحجارة الرومانية الضخمة . وقد تم

تحويل هذا المعبد إلى مسجد فى عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى وقد رمم المسجد وجددت عمارته زمن خمارويه بن أحمد بن طولون سنة ٢٧٧ هـ — ٨٩٥ م وكانت سورية قد ضمت إلى مصر زمن أحمد بن طولون أيام الموفق الخليفة العباسى سنة ٢٦٧ هـ وقد أثبتت الحفريات والكتابات داخل الكهف على زيارة صلاح الدين لهذا الموقع وإضافة حائط الميضأة وتبليط الساحة وقد عثر على اسمه مكتوبا داخل الكهف على واجهة القوس وبعد الأيوبيين جدد عمارته (قنصوة الغورى) حيث عثر على كتابة تجديده سنة ٩٠٠ هـ داخل الكهف وعثر على تاريخ عمارته سنة ١٧٧ هـ .

إقامة مسجد جديد

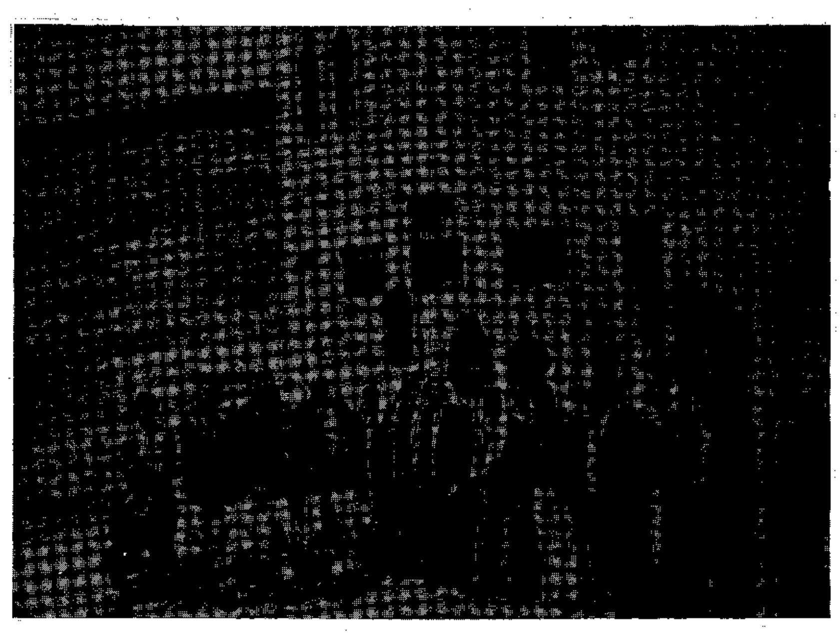
وقد عقدت رابطة العلوم الإسلامية النية على إعادة بناء هذا المسجد ولكن دائرة الآثار استحسنت أن يحافظ على الوضع القديم لهذا المسجد وإقامة المسجد الجديد فى مكان آخر .

وبتاريخ ١٧-٤-١٩٦٣ م وجهت الرابطة رسالة إلى السيد مدير دائرة الأراضى والمساحة تخبره فيها عن الاتفاق الذى تم بين الرابطة ودائرة الآثار العامة بشأن إقامة مسجد فى موقع الكهف بجوار المسجد القديم وتطلب إليها تثبيت مواقع الرسوم المبينة فى مخطط الافراز لمعرفة حدود الأرض .

وبتاريخ ٢٠-٧-١٩٦٣ م بعثت الرابطة برسالة إلى دائرة الآثار تطلب إليها إعداد طريق صالح لوصول السيارات إلى الموقع بمناسبة قرب الشروع ببناء المسجد ، وأعربت عن استعداد أصحاب الأراضى



منظر واجهة الكهف بعد ترميمه وقد بدت فى الصورة أنقاض المسجد
القديم فوق الكهف وهو المسجد الوارد ذكره فى القرآن الكريم



شيوخ بلدة الرقيم وزعماء العشائر المجاورة وأعضاء الرابطة وأفراد
مجموعة فتيان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم بعد أداء فريضة الجمعة
فى أول صلاة أقيمت فى المسجد الجديد بجوار الكهف



المجاورة للموقع لتخطيط شارع يمتد من منطقة الكهف حتى الشارع الرئيسى بعرض ثمانية أمتار وبطول نصف كيلومتر وطلبت منها الاتصال بالدوائر المختصة لإنشاء هذا الطريق وتعبيده .

وقد قامت هذه الدوائر بإنشاء هذا الطريق وتعبيده ورصفه بالأسفلت .

ورغم الجهود الطائلة التى بذلتها الرابطة لإقامة المسجد فإن عقبات كثيرة حالت دون تحقيق أمنيتها فاضطرت أن تكتب إلى السيد رئيس الوزراء بهذا الصدد فرفعت إليه كتاباً بتاريخ ١٧ـ٨ـ١٩٦٨ تحيطه علماً بنتائج اكتشاف الموقع والعقبات التى تجابهها فى سبيل بناء المسجد وتطلب من دولته الإيعاز إلى الجهات المختصة ولا سيا وزارة الأوقاف ودائرة الآثار والسياحة لتوجيه العناية إلى موقع الكهف وشد أزر الرابطة فى المباشرة بإنشاء المسجد واتخاذ ما يلزم من الترتيبات لتسهيل زيارة ذلك الموقع .

وقد تلطف دولته فوجه رسالة تحمل رقم ٢٩ـ١٥ـ٥ـ٨٧٦٠ وتاريخ ١٩ـ٨ـ١٩٦٨ إلى كل من وزير السياحة والآثار ووزير الأوقاف والمقدسات الإسلامية ومحافظ العاصمة يطلب إليهم (**أن ينظروا فى بناء المسجد المطلوب بأقرب وقت لمـا لهذا الموقع من أهمية دينية وتاريخية وسياحية**) وطلب أيضاً إعلامه عن التدابير التى ستتخذ بهـذا الصدد وبعث بنسخة من هذه الرسالة إلى رئيس الرابطة .

وبتاريخ ٣ـ٩ـ١٩٦٨ تلقت الرابطة كتاباً من السيد وزير السياحة والآثار عطفاً على كتاب السيد رئيس الوزراء يعرب فيه عن موافقته

على إقامة المسجد فى ذلك الموقع ويطلب عرض مخطط المسجد على الدائرة لدراسته والتصديق عليه .

كما تلقت الرابطة من وزارة الأوقاف كتاباً يشعر بموافقتها على الإسراع ببناء المسجد وقد رأت الرابطة وضع مشروع البناء تحت إشراف الوزارة المذكورة وتلقت موافقتها .

وبتاريخ ١٢-٣-١٩٦٩ بعثت وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية بكتاب إلى (محافظ العاصمة) تخبره فيه عن موافقتها على تبنى مشروع البناء وأن تشكل لجنة لجمع التبرعات والإشراف على بناء المسجد من السادة (تيسير ظبيان رئيس الرابطة، ويوسف أبو شام، وحسن عبد الله النسعة ، وخالد حسن الفراج) لهذا الغرض باسم لجنة إعمار مسجد الكهف .

وعلى أثر ذلك بدأت هذه اللجنة أعمالها بهمة ونشاط وباشرت بجمع التبرعات اللازمة ، ومضت فى إقامة المسجد بالتعاون مع وزارة الأوقاف .

وقد أدت لجنة إعمار مسجد الكهف مهمتها على أكمل وجه وفى أسرع وقت وكان من المنتظر أن يحتفل بإنجاز بناء المسجد فى صيف عام ١٩٧٠ م ورفعت الرابطة كتاباً بهذا الصدد إلى صاحب الجلالة ملك الأردن المعظم مؤرخاً فى ٢٦-٥-١٩٧٠ ليتفضل جلالته بشمول حفلة تدشين المسجد برعايته السامية فاستجاب جلالته إلى هذا الطلب وتلقت الرابطة بهذه المناسبة من دولة السيد رئيس الديوان الملكى الرسالة التالية :



الرقم : ١١٧/٦/١٢

التاريخ : ١٩٧٠/٦/٣

سعادة السيد تيسير ظبيان المحترم

رئيس رابطة العلوم الاسلامية

اشارة لكتابكم رقم ٥/٧٠ تاريخ ١٩٧٠/٥/٢٧.

أرجو أن اعلمكم بأن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم قد تفضل فوافق على شمول الحفل الذى سيقام بمناسبة انشاء مسجد في موقع أصحاب الكهف برعايته الملكية السامية، وذلك مساء يوم الجمعة الموافق ١٢/٦/١٩٧٠.

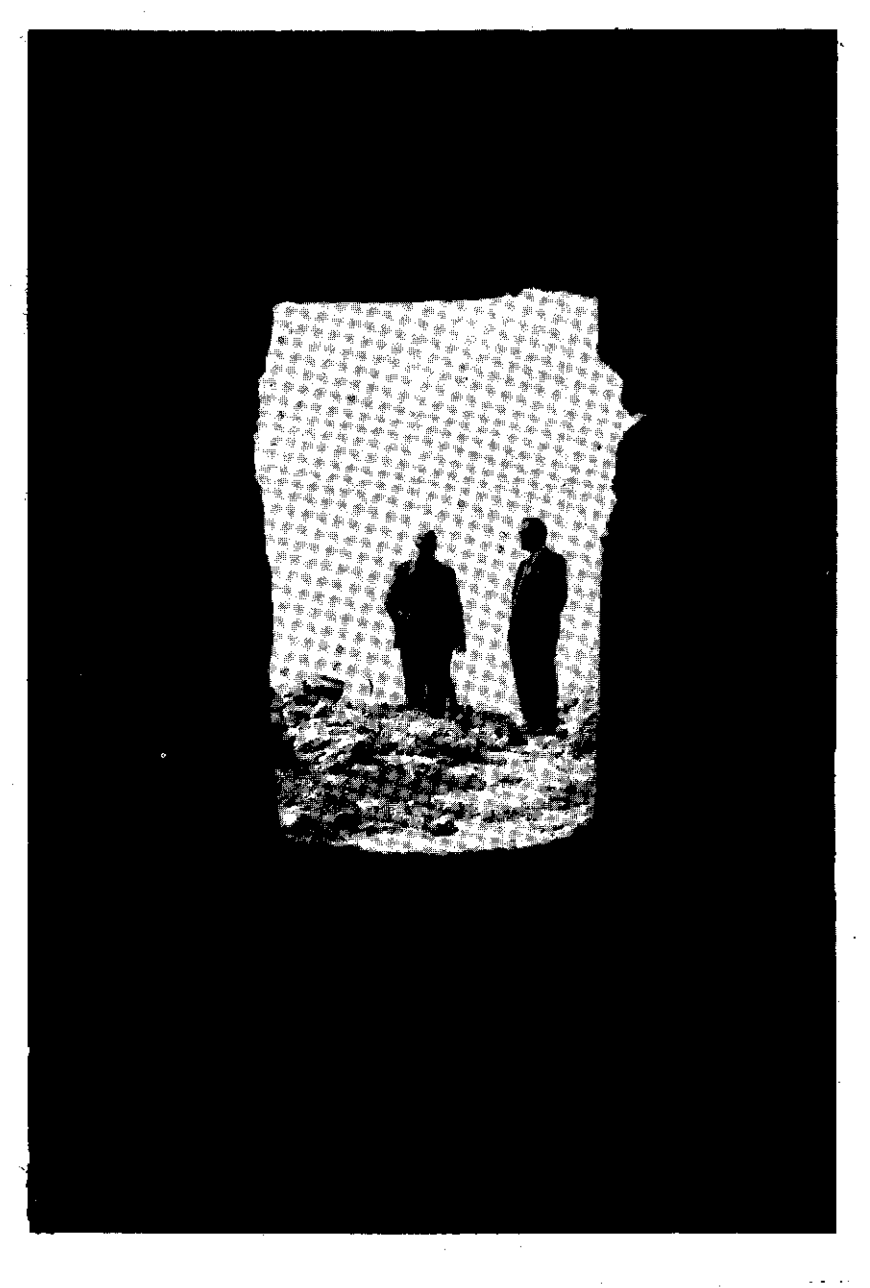
واقبلوا فائق الاحترام،

رئيس الديوان الملكي الهاشمي

نسخه ـ لعطوفة رئيس التشريفات الملكية

صورة زنكوغرافية لخطاب رئيس الديوان الملكى الأردنى إلى المؤلف ويتضمن موافقة عاهل الأردن على شمول الحفل الذى سيقام بمناسبة إنشاء المسجد برعايته الملكية . . ولكن أحداث أيلول المعروفة حالت دون إقامة هذا الحفل فى الموعد المحدد





الدكتور عونى الدجانى مدير الآثار الأردنية والأستاذ محمد تيسير ظبيـان
رئيس الرابطة ومؤلف الكتاب يلقيان النظرة الأولى على الكهف من
الخارج بعد الوصول إلى الموقع .





جمهرة من الزائرين فى فجوة الكهف يشاهدون بعض العاديات الأثرية التى عثر عليها فى أعقاب الحفريات وقد وضعت فى خزانة خاصة



قبور أصحاب الكهف وقد ظهر فى الصورة أربعة منها . وفى الجانب الآخر من الكهف الأضرحة الأخرى





خزانة تحتوى على بعض العاديات الأثرية التى عثر عليها أثناء الحفريات
وقد وضعتها دائرة الآثار فى فجوة الكهف

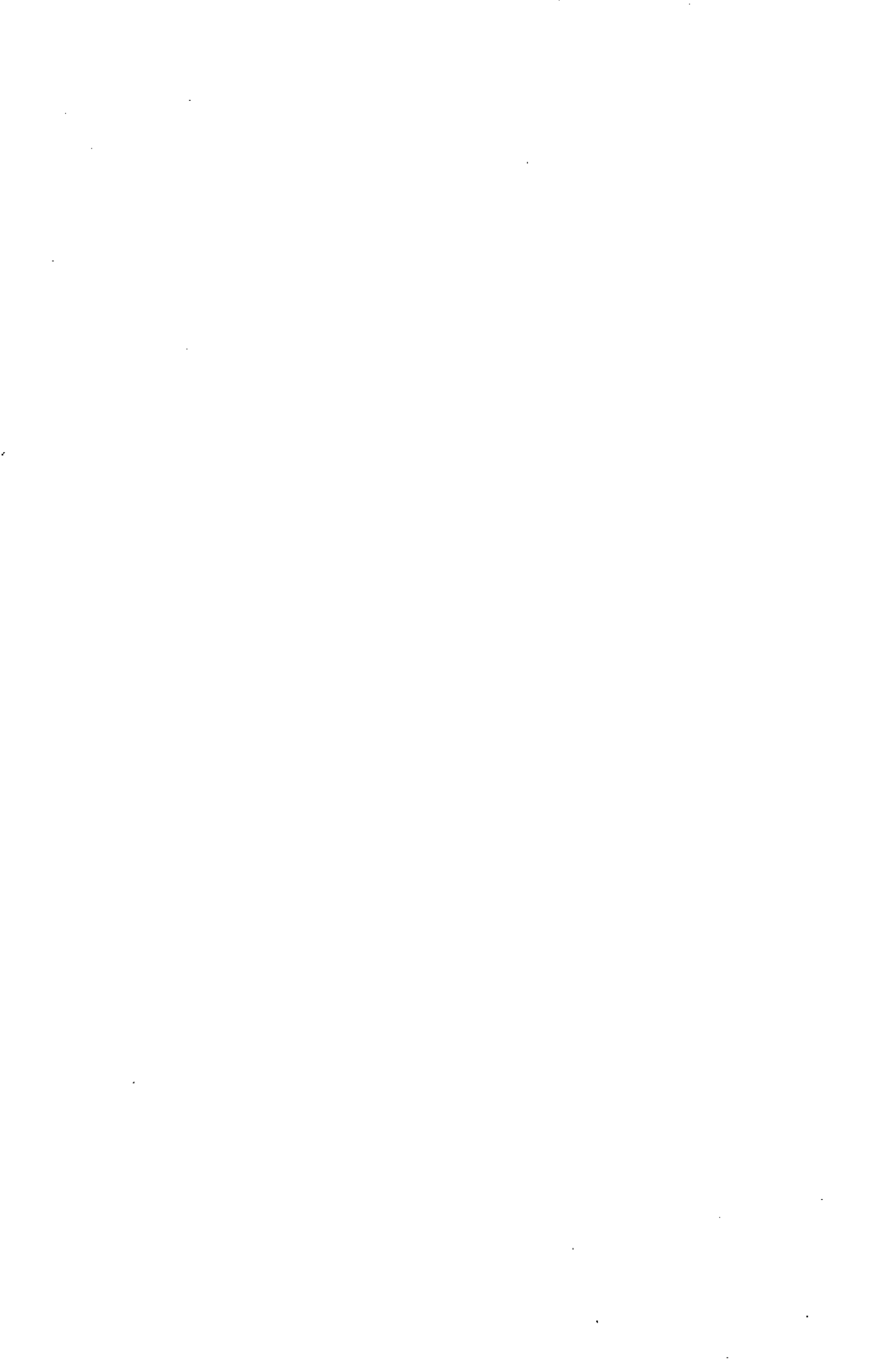




منظر عام لجمهرة المصلين الذين أدوا صلاة أول جمعة في مسجد الكهف الذى أنشأته رابطة العلوم الإسلامية بإشراف وزارة الأوقاف . . وقد ظهر فى الصورة وزيرا الأوقاف والأشغال وفريق من أعضاء الرابطة وشيوخ بلدة الرقيم

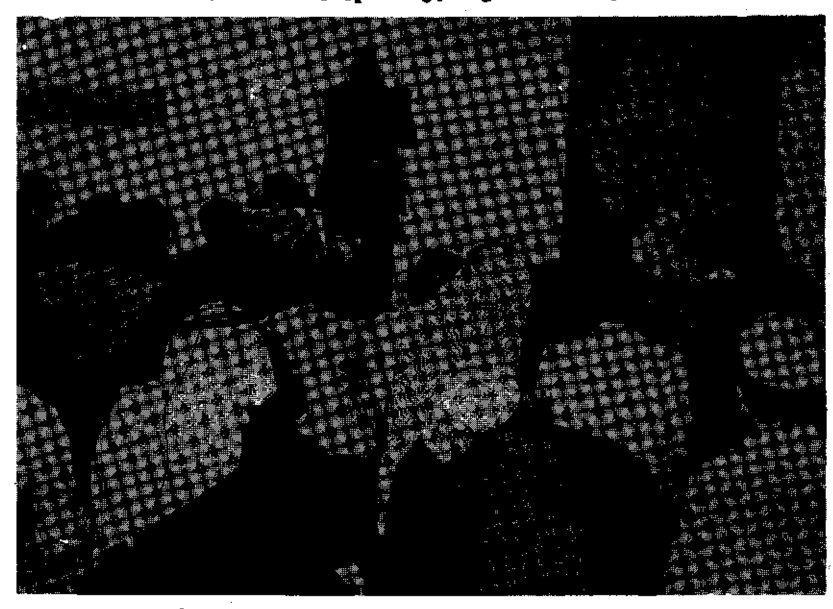


أعضاء لجنة إعمار مسجد الكهف التى تعمل بالتعاون مع وزارة الأوقاف الأردنية





فضيلة الشيخ حازم أبو غزالة رئيس جمعية دار القرآن الكريم يلقي بعض المواعظ الدينية على جمهرة المصلين في مسجد الكهف



رئيس رابطة العلوم الإسلامية الأستاذ محمد تيسير ظبيان يتحدث أمام جموع المصلين في مسجد الكهف عن قدسية الموقع وأهميته التاريخية ، ويضرع إلى الله تعالى بأن يكلل جهود الرابطة بالنجاح لإنجاز مشروع المنشآت الأخرى التي أخذت على عاتقها القيام بها لتحويل هذا المكان إلى منارة شامخة للإشعاع الإسلامي



الأدلة والقرائن على مكان الكهف

- الأدلة الدينية .
- الأدلة التاريخية والأثرية .
- المقارنة بين كهف إفسوس والرقيم .
- قصّة سعيد بن عامر.



الأدلة والقرائن على موضع الكهف

يمكن تقسيم الأدلة والقرائن والبينات التى تؤكد صحة وجود كهف أصحاب الكهف الوارد ذكره فى القرآن الكريم – فى نفس الموقع الذى عثر عليه وتم اكتشاف معالمه فى جبل الرقيم (قرب عمان) إلى ثلاثة أقسام : دينية ، وتاريخية ، وأثرية .

الأدلة الدينية :

أما الأدلة الدينية فلعل أهمها وأجدرها بالاعتبار انطباق آية الشروق المذكورة فى سورة الكهف على هذا الموقع تماماً . . فقد جاء فى الآية الكريمة (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه) – ويقول البيضاوى فى تفسير هذه الآية : إن الشمس تميل عن الكهف ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لأن الكهف كان جنوبياً إذا غربت تقطعهم وتصرم عنهم يمين الكهف وشماله لقوله (وهم فى فجوة منه) أى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه حيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس ، وذلك لأن باب الكهف فى مقابلة بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب إلى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه ، والشمس إذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الأيمن وهو الذى يلى المغرب ، وتغرب محاذية لجانبه الأيسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى أجسامهم ويبلى ثيابهم .

وهذا ينطبق كل الانطباق على هذا الكهف فإنه يتجه إلى الناحية القبلية والشمس تطل عليه حين تشرق وتبعث بأشعتها إلى مدخل بابه

ولكنها لا تنفذ إلى داخله حيث توجد الفجوة التي كانوا يقيمون فيها ويستمر الوضع كذلك حتى الغروب .

ويقول القرطبي : « إن الله تعالى آواهم إلى كهف هذه صفته لا إلى كهف آخر يتأذون فيه بانبساط الشمس عليهم في معظم النهار ، وعلى ذلك فيمكن أن يكون صرف الشمس عنهم باظلال غمام وسبب آخر . والمقصود بيان حفظهم عن تطرق البلاء وتغير الأبدان والألوان إليهم والتأذى بحر أو برد . والفجوة « المتسع » أى كانوا بحيث يصيبهم نسيم الهواء » . وقد تم العثور على هذه الفجوة كما قدمنا .

وجاء فى كتاب البداية والنهاية لابن كثير : « إن الشمس فى زمن الصيف تشرق أول طلوعها فى الغار ثم تشرع فى الخروج منه قليلا قليلا وهو ازورارها ذات اليمين فترتفع فى جو السماء وتتقلص عن باب الغار ثم تشرع فى الدخول فيه من جهته الشرقية قليلا قليلا إلى حين الغروب كالمشاهد بمثل هذا المكان . والحكمة فى دخول الشمس إليه فى بعض الأحيان أن لا يفسد هواؤه » .

وقال الطبرى فى تفسيره لهذه الآية : « ففعلنا هذا الذى بهؤلاء الفتية الذين قصصنا عليكم أمرهم من تصييرنا إذا أردنا أن نضرب على آذانهم بحيث تزاور الشمس عن مضاجعهم ذات اليمين إذا هى طلعت وتقرضهم ذات الشمال إذا هى غربت مع كونهم فى المتسع من المكان بحيث لا تحرقهم الشمس فتشجهم ولا تبلى على طول رقدتهم ثيابهم فتعفن على أجسادهم من حجج الله وأدلته على خلقه » .

وقد علق الشيخ أبو على الفضل بن الحسن الطبرسى فى معرض

تفسيره لهذه الآية بقوله : ثم أخبر سبحانه عن لطفه وحفظه بهم إياهم فى مضجعهم واختياره لهم أصلح المواضع لرقادهم فبوأهم مكاناً من الكهف مستقبلا بنات النعش تميل الشمس عنهم طالعة وغاربة كيلا يؤذيهم حرها أو تغير ألوانهم أو تبلى ثيابهم وهم فى متسع ينالهم فيه روح الريح .

ومن الأدلة الدينية : العثور على المسجد الذى ورد ذكره فى سورة الكهف (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً) والمقصود من المسجد هو مكان العبادة الذى يسجد فيه ، وقد عثر على هذا المسجد الذى أقيم فوق الكهف بعد إزالة الأنقاض وظهرت سبعة أعمدة أثرية قديمة ربما نصبت فى هذا المسجد رمزاً لعددهم كما ظهر مسجد آخر أنشئ فى الجهة الجنوبية من الكهف مما يدل على عناية المسلمين فى مختلف العصور بهذا المكان المقدس .

وكذلك الفترة التى أخلدوا فيها إلى النوم وهى ٣٠٠ سنة شمسية و ٣٠٩ قمرية وقد أيدتها الاكتشافات الأثرية .

وكذلك الفجوة التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم والتى وجدت فى داخل الكهف وتمتد إلى أعلاه بواسطة كوة (نفق) .

الأدلة التاريخيـــة والأثرية :

أما الأدلة التاريخية فقد أوردناها فى فصل (موقع الكهف) وهى تستند فى جملتها إلى ما رواه الصحابة ومن جاء بعدهم من الأمراء والقادة وعلماء المسلمين الذين زاروا هذا الموقع وما ورد على ألسنة شعراء العرب فى العصر الجاهلى والإسلامى وقد أيدتها وعززتها الحفريات

التى أجرتها دائرة الآثار العامة فى ذلك الموقع والتى كشفت عن الأضرحة والمسجدين والفجوة وطرز البناء والنقوش والكتابات والزخرفة والنقود البيزنطية وكلها تدل دلالة صريحة على العصر الذى ظهروا فيه وتتفق إلى حد بعيد مع ما جاء فى القرآن الكريم وما ورد من الروايات الإسلامية فى مختلف العصور .

*****

المقارنة بين كهفى إفسوس والرقيم

وفى سبيل استيفاء هذا الموضوع الجليل حقه من التمحيص والتدقيق ، وبالنسبة لما ذهب إليه رجال الكهنوت والمؤرخون المسيحيون وشايعهم فى ذلك بعض المفسرين والمؤرخين المسلمين من اعتبار كهف (إفسوس) الموجود فى الأناضول هو كهف الرقيم فقد كتبت دائرة الآثار الأردنية (مشكورة) رسمياً إلى سفارة الحكومة التركية فى عمان بتاريخ ٢٣-٧-١٩٦٢ وطلبت تزويدها بكافة المعلومات عن كهف(إفسوس) مع صور هذا الكهف وعما إذا كان قد جرت حفريات فى الموقع وغير ذلك من المعلومات التى تتعلق بالموقع المذكور .

وبالإضافة إلى هذا الكتاب الذى تقدمت به دائرة الآثار إلى السفارة التركية فقد كلفت الدائرة (المستر شارلس هورتون) أحد الخبراء الفنيين فى هيئة الأمم المتحدة ومن هواة الآثار أن يتوجه إلى (إفسوس) ويزودها بصور ومعلومات عن الكهف المزعوم فى ذلك المكان ، وبالاستناد إلى الصور والبيانات التى تلقتها الدائرة من السفارة التركية ومن خبير الأمم المتحدة تبين لها ما يلى :

١ ـ أن المسجد الوارد ذكره فى القرآن الكريم لا أثر له فى كهف (إفسوس) إذ لا يوجد فوقه أى بناء يدل على وجود هذا المسجد، ولا يوجد بجواره أو على مقربة منه أى مسجد آخر .

٢ ـ على أثر الحفريات التى أجريت فى كهف (إفسوس) ظهرت فيه مئات المدافن مبنية من الطوب. أما فى الكهف الذى اكتشف قرب عمان فظهرت ثمانية مدافن منقورة فى الصخر وهى بيزنطية استدل عليها من الزخرفة والنقوش والنقود التى عثر عليها .

٣ ـ لا يوجد فى كهف (إفسوس) أى نقوش أو كتابات تدل على أنه هو المقصود ، فى حين أن جدران كهف (الرقيم) فى عمان مليئة بالكتابات والنقوش والخطوط اليونانية والكوفية والثمودية .

٤ ـ تبين أن باب كهف (إفسوس) يقع فى الشمال الشرقى، فآية الشروق لا تنطبق عليه ، فى حين أن كهف الرقيم فى الجنوب وآية الشروق الواردة فى القرآن الكريم تنطبق عليه تماما .

٥ ـ لا توجد فجوة فى كهف (إفسوس) فى حين أنه عثر فى كهف (الرقيم) على الفجوة الوارد ذكرها فى القرآن الكريم (وهم فى فجوة منه) .

٦ ـ أن تاريخ أقدم كنيسة فى (إفسوس) يرجع للقرن الأول الميلادى ، فى حين أن المعبد (المسجد) الذى أقيم فى الكهف على أثر استيقاظ أصحاب الكهف يرجع تاريخه إلى زمن الامبراطور (ثودوسيوس الثانى) أى فى القرن الخامس . وهذا يتفق مع وضع

كهف (الرقيم) وقد عثر فيه على نقود لهذا الإمبراطور مع قطع من الفخار البيزنطي . كما أن تاريخ مسجد (الرقيم) يتفق مع الزمن الذى كتب فيه جيمس الساروغى عن أهل الكهف بسنة ٤٧٤ م ولم يعمد المسلمون إلى تحويل المعبد المذكور إلى مسجد وتجديده إلا لقدسيته وأهميته الدينية .

*****

قصـــة ســـــعيد بن عامـر

أما قصة الصحابي سعيد بن عامر التي أشرنا إليها في مقدمة هذا البحث ووعدنا القراء بنشرها فهي كما ذكرنا تعتبر من أوثق الروايات الإسلامية عن هذا الموقع وأقدمها .. وصاحب هذه القصة هو سعيد ابن عامر بن حذيم الجمحي القرشي من المهاجرين ، أسلم قبل خيبر وتردد اسمه في خلافة عمر بن الخطاب ، وتعددت الروايات على دور له في الشام . وذكرت كتب التاريخ أنه وعظ ذات مرة أمير المؤمنين وقال له : « اتق الله يا عمر ، أحب لأهل الإسلام ما تحب لنفسك ، وأقم وجهك وقضاءك لمن استرعاك الله من قريب المسلمين وبعيدهم ، ولا تقتص في أمر واحد بقضاءين فيختلف عليك أمرك ، وتنزع عن الحق ، والزم الأمر ذا الحجة يعنك الله ما ولاك ، وخض الغمرات إلى الحق حيث علمته ، ولا تخش في الله لومة لائم » . فقال له عمر : ويحك يا سعيد . . من يطيق هذا ؟ قال : أنت يا أمير المؤمنين ، إنما عليك أن تقول فتطاع .

ولمـــا اجتمعت الروم في يوم اليرموك واستغاث أبو عبيدة بالخليفة أنجده عمر بسعيد . وفيما يلي قصة إرساله إلى الشام على رأس حملة من المجاهدين كما رواها الواقدي في كتاب فتوح الشام قال :

حدثني عمرو بن العلاء قال : حدثنا ماجد عن الثقات قال : لمـــا سار عبد الله بن قرط من المدينة يوم الجمعة فلما كان يوم السبت وقد صلينا الصبح خلف عمر بن الخطاب ونحن نقرأ من القرآن ما تيسر إذ سمعنا ضجة عظيمة وجلبة هائلة ففزعت قلوبنا فخرجنا مبادرين

وإذا نحن بقوم من اليمن وأرض سبأ وحضرموت واجتمعوا للجهاد وهم ستة آلاف يقدمهم جابر بن خول الربعي ، فترجلت ساداتهم وسلموا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمرهم بالنزول فلما أقبل الظلام جاء ألف فارس من مكة والطائف ووادي نخلة وثقيف يقدمهم سعيد بن عامر وسلموا على عمر ونزلوا بإزاء أهل اليمن فلما كان يوم الأحد حمل عمر ضعيفهم وزودهم وعقد راية حمراء على قناة قامة وسلمها إلى سعيد بن عامر قال سعيد بن عامر فهممت بالمسير فقال عمر : على رسلك يا ابن عامر حتى أوصيك ثم أقبل عمر ابن الخطاب يمشي راجلا ومعه عثمان بن عفان والعباس وعلى بن أبي طالب وعبد الرحمن بن عوف فلما قربوا من الجيش وقف عمر والناس حوله وقال لسعيد بن عامر : (يا سعيد إني وليتك على هذا الجيش ولست بخير رجل منهم إلا أن تتقي الله فإذا سرت فارفق بهم ما استطعت ولا تشتم أعراضهم ولا تحتقر صغيرهم ولا تؤثر قويهم ، ولا تتبع هواك ، ولا تسلك بهم المغاور ، واقطع بهم السهل ،ولا ترقد بهم إلا على جادة الطريق والله تعالى خليفتي عليك وعلى من معك من المسلمين) . فقال له على بن أبي طالب كرم الله وجهه : (اسمع وصية إمامك أمير المؤمنين الذي ختم الله تعالى به الأربعين وسميت به آية المؤمنين وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وإن تطيعوه تهتدوا وترشدوا » . فسر يا سعيد وإذا وصلت إلى أبي عبيدة والتقى بكم الجيش الذي لا تلقون مثله وصعب عليكم أمره فاكتبوا إلى أمير المؤمنين عمر حتى يوجهني إليكم حتى أقلب أرض الشام على من فيها من المشركين إن شاء الله تعالى) .

قال : فسار سعيد بن عامر وهو يقول :

نسير بجيش من رجـــال أعزة ... على كل عجاج من الخيل يصبر
إلى شبل جــراح وصحب نبينـا ... لننصره والله للــدين ينصر
على كل كفـــار لعين معاند ... تراه على الصلبـان بالله يكفر

قال : وسار بجد السير . قال سعيد بن عامر : وكنت عارفا ببلاد الشـام وطرقها وكنت أسير إليها فى السنة مرة أو مرتين عسفاً من غير جادة ، فكنت أسير على الكواكب . . فلما سرت من المدينة وأنا بين يدى المسلمين سلكت بهم على طريق بصرى فضللت عن الطريق ، وعدلت عن الجادة وأنا محترز من العدو وخائف على المسلمين فجعلت أحيد عن العمارات ، وأسلك الفلاة توفيقا من الله وإكراماً ولطفاً بعباده المؤمنين . . فلما ضللت ، أشكل على كأنى ما سلكته يوماً قط فوقفت حائراً حتى تلاحق بى المسلمون فلم أعلمهم بأمرى ، ولا أنى ضللت عن الطريق وأنا أقول : (لا حول ولا قوة إلا الله العلى العظيم) فسرت يومين وليلتين وأنا أتيه بالناس والمسلمون يسألوننى عن ذلك وأنا أقول لهم : (إنى على الطريق) فلما كان فى اليوم العاشر من مسيرنا من المدينة ولاح لى جبل عظيم فنظرت إليه وحققته فلم أعرفه فقلت : غررت والله بالمسلمين وأنا أقول فى نفسى أترى هذا جبل بعلبك وقد سهل علينا الطريق وكان الجبل قد لاح لنا من بعيد من أول النهار وما أدركناه إلا والليل قد أقبل فلما صرنا بقربه اعترضنا واد عظيم فيه شجرة عظيمة كبيرة . . قال : فلما تأملت الشجرة وعرفتها قلت لأصحابى : أبشروا فقد وصلنا إلى بلاد الشام وفتح المسلمين ودخلنا الوادى وإذا ليس به جادة ولا طريق فلحق المسلمين من قوله

تعب عظيم قال سعيد بن عامر : وكان أكثر المسلمين رجالة كان يحمل بعضهم بعضا ويتعقبون على ظهور الخيل والإبل فلما نظر المسلمون إلى وحشة ذلك الوادى ووعورة مسلكه قالوا : يا سعيد إنا نظن أنك قد أخطأت الطريق وسلكت بنا غير طريقنا فأرحنا فى هذا الوادى قليلا فقد أضر بنا المسير قال : فأجبتهم إلى ذلك ، وكان فى الوادى عين ماء غزيرة ، فنزل المسلمون عليها فشربوا وسقوا خيلهم وإبلهم ورعت الخيول والجمال ورق الشجر ونام أكثر الناس وبعضهم يصلى على محمد . قال سعيد بن عامر : وكنت جلست فى آخر الناس أحرسهم وأنا أتلو القرآن العظيم وأدعو الله لنا بالسلامة ، إذ غلبتنى عينى فنمت فرأيت فى منامى كأنى فى جنة خضراء كثيرة الأشجار والثمار وكأنى آكل من ثمرها وأشرب من أنهارها وأجنى من ثمرها وأناول أصحابى وهم يأكلون وأنا فرح مسرور فبينما أنا كذلك إذ خرج من بين تلك الشجر أسد فزأر فى وجهى وهم أن يفترسنى وأنا من ذلك فزع مرعوب إذ خرج على الأسد أسدان عظيمان فصرعاه فى موضعه فسمعت له خوارا عظيما فانتبهت من نومى وحلاوة ذلك لا تزال فى فمى والأسود تتمثل بين يدى .. قال سعيد بن عامر : ففسرتها أنها غنيمة يأخذها المسلمون ويمنعنا منها مانع ونظفر به فقلت فى نفسى (الجنة هى الشهادة) قال سعيد بن عامر : ولم أزل جالساً أتلو القرآن وأنا قلق إذ سمعت هاتفاً يهتف بى عن يمين الوادى وهو يقول :

يا عصبة الهادى إلى الرشاد	لاتفزعوا من وعر هذا الوادى
ما فيه من جن ولا معادى	ستعلمون معشر العباد
لطف الذى يرفق بالأولاد	ويطرح الرحمة فى الأكباد

قال سعيد بن عامر : فلما سمعت شعر الهـاتف وما يشير به من الغنيمة سجدت لله تعالى شكراً واستيقظ المسلمون لصوت الهـاتف .
قال سعيد بن عامر : كنت قد حفظت من الهـاتف بيتاً وحفظ (سماح) ثلاثة أبيات وأنشدنى إياها ففرح المسلمون بما سمعوا من الهـاتف وطابت قلوبهم بالغنيمة وأقام المسلمون فى الوادى حتى أصبح الصباح ، وصلى بهم سعيدبن عامر صلاة الفجر فلما طلعت الشمس خرج المسلمون من الوادى وحققت فى تلك الأرض والجبل وإذا به جبل الرقيم فلما رأيته عرفته فرفعت صوتى بالتكبير وقلت : الله أكبر . . الله أكبر ، وكبر المسلمون لتكبيرى وقالوا : ما هذا الذى رأيت يا ابن عامر فقلت : وصلنا إلى بلاد الشام وهذا جبل الرقيم فقالوا : ياسعيد (وما الرقيم) فحدثتهم بحديث الرقيم .. قال سعيد : فعجبوا من ذلك ثم أقبلت بهم إلى الغار فصلوا فيه ثم سرنا حتى أشرفنا على بلادعمان .
قال سعيد بن عامر : فعدلت إلى قرية هناك يقال لهـا (الجنان) فنظرت فى سكان القرية وهم خارجون منها ومعهم الأهل والأولاد فلما رآهم المسلمون حملوا عليهم من غير إذن لهم وأخذوا أسارى فرجع القوم إلى القرية وكان فيها حصن منيع فتحصنوا فيه منا .. قال سعيد : فقربت من الحصن وصحت بهم وقلت يا ويلـكم ما بالـكم كنتم خارجين من قريتكم فرجعتم فأشرف على واحد منهم وقال : يا معشر العرب اعلموا أننا كنا خارجين من المدينة ففزعنا منكم وذلك أن صاحب عمان بعث إلينا وأمرنا بالمسير إلى عمان لنكون من تحت كنفه فى عمان ، والآن يا معشر العرب هل لـكم أن نكون فى ذمامكم ؟ قال سعيد : نعم .
فوقع الصلح بيننا على عشرة آلاف دينار وكتبت لهم كتاب الصلح .
فلما هممت بالمسير قالوا : يا معشر العرب قد صالحنا كم ونحن خائفون

من قومنا واعلموا أن نقيطاس صاحب عمان لابد أن نلقى منه شدة عظيمة فلو ظفرتم به لكان خيراً لنا ولكم . . فقلت وكيف نظفر به . فقالوا : إن الملك (ماهان) مقدم العسكر قد بعث إلينا حتى نسير إلى قيسارية لنكون مع قسطنطين بن الملك هرقل يداً واحدة . وبعث بذلك إليه وأنتم إن ظفرتم بصاحب عمان ملكتم غنيمة ، فقال سعيد وفى كم يكون جيش عمان فقالوا : فى خمسة آلاف فارس .

ويقول الواقدى بعد ذلك ما خلاصته من أن معركة عنيفة نشبت بين جيش سعيد بن عامر وطلائع جيش عمان أسفرت عن انتصار المسلمين واندحار أعدائهم ولما علم صاحب عمان بالهزيمة أمر أصحابه من بقية الجيش بأن يحملوا على المسلمين حملة عظيمة ففتك بهم المسلمون فتكا ذريعاً ، ولما رأى البطريق (صاحب عمان) ما صنع المسلمون ولى منهزما مع فلول جيشه وبينما هم منهزمون إذ أشرف عليهم خيل فرسان من المسلمين تسرع فى خطوها وقد أطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة وهم زهاء ألف فارس ويتقدمهم فارسان كأنهما أسدان : أحدهما الزبير بن العوام والآخر الفضل بن العباس فحملوا على الروم فقتلوهم عن بكرة أبيهم وحمل الزبير على (نقيطاس) بطريق عمان وقائد جيشها فقتله ولما أشرف سعيد بن عامر على هذه المعركة ظن أنه وقع خلاف بين المسلمين فلما قربوا منهم سمعوا التهليل والتكبير فقالوا دعوة الحق فاقتحم سعيد المعركة فسمع الفضل بن العباس يقول : أنا ابن عم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأخذ المسلمون يسلمون على بعضهم وأقبل الزبير وقال : يا ابن عامر ما الذى أخرك عن المسير جهتنا وقد جاءنا سالم بن نوفل العدوى وأخبرنا بمسيرك إلينا حتى ساءت بك ظنوننا فأرسلنا أبو عبيدة لنغير على عمان والحمد لله على سلامة

المسلمين ودمار المشركين ثم ساروا حتى التقوا بأبى عبيدة ورؤوس القتلى من الروم على أسنة الرماح . ولمـــا تكللت جهود سعيد بن عامر بهذا النصر وتحققت الرؤيا التى رآها سجد شكراً لله عز وجل .

وتعتبر هذه القصة وما ورد فيها من ذكر جبل (الرقيم) وكهفه العظيم من أنصع الأدلة وأبلغ البراهين التى تشير إلى أن هذا الموقع (بالذات) كان معروفاً فى صدر الإسلام فى ذلك المكان دون غيره والله أعلم .

وقد روينا هذه القصة على علاتها رغم ما جاء فيها من اضطراب فى بعض الأقوال ، وغرضنا أن نؤكد على أن (الكهف) كان معروفاً لدى المسلمين الأوائل فى جبل الرقيم بالذات .

*****



أصداء الاكتشاف إسلاميًا وعالميًا

- أول مقال ينشر عن الاكتشاف .
- أقوال الصحف العربية .
- الإذاعات ووكالات الأنباء .
- صدى الاكتشاف في مصر .
- صدى الاكتشاف في إيران .
- أقوال الصحف الأجنبية .



مجـلة الشرطة الدمشقيـة

كانت مجلة (الشرطة والأمن العام) التي تصدر في دمشق أول من أشار إلى اكتشاف موقع أصحاب الكهف الموجود قرب عمان ، فقد نشرت في أحد أعدادها بتاريخ ١٥-١٢-١٩٥٣ مقالا عن هذا الموقع والقرائن التي تدل على أنه هو الكهف الوارد ذكره في القرآن الكريم استناداً إلى أقوال بعض المفسرين وعلماء التاريخ والجغرافيا المسلمين وبعض المستشرقين الذين أتيحت لهم زيارته .

ونشرت جريدة الجهاد التي كانت تصدر في عمان بتاريخ ٢٥-٧-١٩٧٣ بعض المعلومات عن أعمال الحفر والتنقيب وأشارت إلى العثور على المسجدين وبعض النقود الأثرية اليونانية واللوحات الحجرية كما أشارت إلى العثور على جذور شجرة الزيتون وإرسال بعضها إلى المتحف الطبيعي في لندن لمعرفة تاريخها وقالت : إن جمعية أصدقاء الآثار المؤلفة من بعض السفراء في الأردن أصدرت كتيباً عن هذه الآثار وزينت صفحته الأولى بصورة الكهف .

الأسبوع العـربي :

وفي تلك الفترة نشرت مجلة الأسبوع العربي المصورة التي تصدر في بيروت تحقيقا شاملا عن هذا الاكتشاف الأثري العظيم أجراه مندوبها في عمان الأستاذ عبد الحفيظ محمد بعنوان (أهل الكهف كانوا هنا) وقد ملأ هذا التحقيق أربع صفحات من المجلة ، ونشرت في الصفحة الأولى الصورة الأولى التي التقطت لمدير الآثار ومساعديه

ورئيس رابطة العلوم الإسلامية فوق سطح الكهف قبل إجراء الحفريات وقالت المجلة فى مستهل التحقيق :

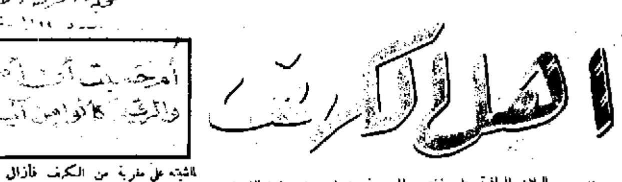
استطاعت « الأسبوع العربى » أن تسلط الأضواء على الغار الحجرى الذى يقال إنه يضم أهل الكهف . . واستطردت المجلة قائلة :

ومنذ ذلك الوقت ومديرية الآثار الأردنية ورابطة العلوم الإسلامية فى عمان تواصلان البحث والدراسة إلى أن ثبت أن هذا الغار هو الذى ضم أهل الكهف الذين تحدث عنهم القرآن الكريم ولا تزال قصته لغزاً يحير العقول . وفى هذا التحقيق يقدم « الأسبوع العربى » مراحل اكتشاف الكهف وقيمته الأثرية .

صحف أردنية مختلفة :

وفضلا عن ذلك فإن صحف الدستور والرأى والشعب واللواء وأخبار الأسبوع قد تناقلت أخبار الاكتشاف وقامت بتحقيقات ضافية وتعليقات وافية حول هذا الموضوع .

*****



البلاد الواقعة على ضفتي الاردن بالمعابد الدينية ، والاطلال التاريخية ، والمعالم الاثرية ، التي تشهد بعظمة هذه البلاد وما تألق فيها من ديانات ، وما ازدهر فيها من حضارات ، وما خلفته الامم التي قطنت فيها والدول التي تغلبت عليها من امجاد ، ففيها المسجد الاقصى وكنيسة القيامة والمهد وجامع عمر وقبة الصخرة وقبور شهداء مؤته وضريح ابي عبيدة : وفيها آثار جرش الشهيرة ، وقصور بطرا الحجرية ، والملاعب الرومانية، وقصور الامويين الرابضة في الصحراء . . .

ولعل من ارفع هذه الاماكن الاثرية شأناً واسماها مقاماً وادومها مكانة واهمية من الناحيتين الدينية والتاريخية واجدرها بعناية الباحثين وعلماء الآثار : تلك المغارة القديمة المعروفة باسم (الكهف والرقيم) والوارد ذكرها في القرآن الكريم وقد أفردت لها سورة خاصة وهي سورة الكهف التي تعتبر من اطول سور القرآن واحفلها بالعبر والعظات .

وقصة اصحاب الكهف والرقيم من القصص الخالدة التي تنقل الينا صوراً رائعة من صور البطولة والأنفة وصلابة العقيدة والثبات على المبدأ ومجابهة الجبروت والطغيان فضلاً عن انها تنطوي على حادث خارق للعادة ومخالف لنواميس الكون وتعتبر معجزة من المعجزات الالهية التي يستدل بها على عظمة الخالق وقدرته على خلق الاجسام بعد موتها وبعثها بعد فنائها .

خلاصة القصة

هذه القصة كما دونتها المصادر الاسلامية وأيدتها الروايات المسيحية انه كان للروم عام ٢٥١ (ب . م) ملك طاغية يدعى (دقيانوس) كما كان يسميه العرب ويرجح انه عرف من اسم (ديوقليسيانوس) شأن العرب في اختصار الاسماء الاعجمية . وكان هذا الملك يعبد الاوثان ويتبع للطواغيت ويضطهد اتباع الديانة المسيحية ويحملهم على عبادة الاصنام . وقد اتفق ان سبعة من الفتيان الاشراف رفضوا الاذعان لمشيئته وعقدوا الخناصر على التمسك بأهداب ديانتهم مهما كلفهم الامر ، فاستدعاهم الملك المذكور ودعاهم الى الاقلاع عن عبادتهم واعتناق دينه الوثني وحاول اقناعهم بمختلف الوسائل فلم يفلح ، وبالنظر لما كانوا يتمتعون به من المكانة في المجتمع فقد أمهلهم بضعة أيام ليتداولوا في الموضوع ويتشاوروا في الامر ويختاروا بين التخلي عن ديانتهم او التخلي عن حياتهم ، فآثروا الفرار من المدينة والالتجاء الى كهف قريب منها ، والانصراف الى عبادة الواحد الاوحد ، الفرد الصمد .

فلما جنهم الليل انطلقوا الى ذلك الكهف وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يتسلل الى المدينة ويبتاع من الطعام أزكاه ويتسقط لهم اخبار الملك وحركاته ، ولبثوا كذلك زماناً . ثم أخبرهم بأن الملك قد اخذ يطلبهم . فضرب الله على آذانهم في الكهف سنين عدداً . ولما بلغه بأنهم التجأوا الى ذلك الكهف (وقد يكون ذلك من قبيل الحدث والتخمين) أمر بأن يسد عليهم حتى يموتوا جوعاً وعطشاً . . . ولكن الله توفى أرواحهم وفاة النوم . ولقد عمد رجلان مؤمنان من حاشية الملك الى كتابة شأن الفتية وأسمائهم وانسابهم في رقيم وجعلاه في تابوت من نحاس وضع في البنيان . وناموا ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً . ثم ملك تلك البلاد رجل صالح وكان متبرماً بالحاد رعاياه وانكارهم للبعث والنشور . ويقال ان احد سكان ذلك الجبل في زمانه أراد ان يبني حظيرة لماشيته على مقربة من الكهف فأزال الاحجار التي أقيمت على مدخل الكهف وشاءت العناية الالهية ان يستيقظ الفتية من سباتهم . ولما أفاقوا أخذ يسأل بعضهم بعضاً لبثنا يوماً او بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، وقد أحسوا بالجوع فطلبوا من احدهم بأن يتوجه الى المدينة ويأتيهم بالطعام ويتلطف في سيره ولا يشعرن به احداً . فسار الى المدينة مستخفياً متنكراً وهو يخشى من بطش الملك دقيانوس وما كان يدري انه هلك وانه قد حل محله ملك صالح . وقد ارتاب بأمره بعض سكان المدينة ولا سيما بعد ان عرض عليهم النقود التي كان يحملها وهي نقود قديمة فتوهموا انه رجل غريب عثر على كنز ، كما حار هو ايضاً في امره اذ ألفى نفسه في مدينة تغيرت معالمها وتبدل اهلها فسيق الى الملك الصالح فلما رآه واستمع الى قصته اطمأن اليه وسار معه الى الكهف حيث وجد الفتية بانتظار صاحبهم فحمد الله على هذه الآية الالهية التي ستساعده على عقيدته في التدليل على البعث والنشور امام رعاياه الكافرين . ويقال ان الفتيان عادوا الى مضاجعهم في الكهف وناموا وقد توفى الله أرواحهم . وأمر الملك بأن يجعل على باب الكهف مسجداً للصلاة .

أين يقع الكهف ؟

اختلف المؤرخون والمفسرون في تسمية المكان الذي وقع فيه هذا الحادث وتحديد الموضع الذي يوجد فيه الكهف وهل هو في عربسوس (جنوب شرقي الاناضول) أم في أفسوس (غربيها) ام في موقع يدعى لوشا بالاندلس أم في الرقيم بالبلقاء على مقربة من عمان ؟

أما الرواة العرب ومعظم مفسريهم فانهم يميلون الى ترجيح الرأي الثاني بل هناك من لا يعترف الا بالرأي المذكور .

وقد ذكر ابن عباس ان الكهف يقع في وادٍ دون فلسطين قريب من أيلة والكهف في رقة ذلك الوادي الى جانبه .

"وروى عنه ايضاً انه غزا مع حبيب ابن مسلمة وبعض المسلمين فمروا بالكهف فاذا به عظام بالية فقال رجل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس : لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ٣٠٠ سنة ولم يعرف عن ابن عباس أنه ذهب الى الاناضول او غيره من الاماكن المختلف عليها .

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي : أن عمان مدينة دقيانوس وبالقرب منها الكهف ، والرقيم معروف عند أهل تلك البلاد .

وقال المقدسي في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) : ان الرقيم بلد في شرقي الاردن بالقرب من عمان حيث وجدت فيها عدد من الجثث غير البالية (كذا) . . .

وجاء في كتاب (الاشارات الى معرفة الزيارات) للهروي : البلقاء بلد بها الكهف والرقيم عند مدينة يقال لها عمان بها آثار قديمة ذكروا أنها مدينة دقيانوس الملك .

ومما يؤيد هذه الروايات انه توجد على قيد ١٢ (ك . م) من عمان قرية تدعى (الرقيب) وعلى خربة من هذه القرية مغارة واسعة يقدسها سكان تلك الجهات وهي معروفة لديهم باسم (مغارة اهل الكهف) ويشدون الى زيارتها للتبرك بها ، ولا يستبعد ان تكون الميم قلبت باءً كعادة القبائل العربية في تبديل الحروف .

رأي مستشرق الماني

الاستاذ الالماني أن المستشرق . . . (كليرمونت غانو)

صورة أول مقال نشر باللغة العربية عن كهف « الرقيم » بعد العثور عليه في إحدى ضواحي عمان . . وقد نشر المقال في مجلة « الشرطة والأمن العام » التي تصدر في دمشق في ديسمبر ١٩٥٣



(Clermont Ganneau) زار قرية الرقيب المذكورة وشاهد كهفها المحفور في الصخر الاصم بسفح جبل وقد وافق القدسي على اخبار هذا المكان هو الكهف والرقيم الوارد ذكرهما في سورة الكهف .



صورة مصغرة لمدينة عمان الحديثة وتظهر خلفها قرية (الرقيب) التي يعتقد انها موقع اهل الكهف والرقيم وقد اشير الى الطريق القديم المؤدي الى ذلك الموقع باشارة (↓)

مشاهدات وتحريات خاصة

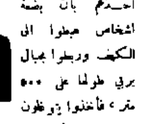
رأيت ان ازور هذا الموقع بنفسي فتوجهت في هذا العام الى قرية (الرقيب) وهي تبعد من عمان نحو ١٣ (ك . م) — كما تقدم — فرأيتني امام بناء قديم مزخرف ببعض النقوش وهو يطل على صحراء داوية ، وقد رأيت في داخله توابيت حجرية تضم بعض الهياكل البشرية والعظام النخرة ، وعلى جدران البناء نقوش ورموز . وفي اسفله توجد مغارة واسعة جداً تمتد الى مسافة طويلة . ويؤكد بعض الاعراب القاطنين من تلك الجهات بأن البناء القائم هو بناء المسجد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم وقد انشئ فوق الغار وان الغار المذكور هو غار أهل الكهف . ويروى أحدهم بأن بضعة اشخاص هبطوا الى الكهف وربطوا حبالا يربي طولها على ٥٠٠ متر ، فأخذوا يوغلون في الغار ولم يبلغوا غايته حتى آخر امتداد الجبل فاضطروا ان يغيروا أدراجهم وقد ابيضت شعورهم من هول ما شاهدوه وسمعوه داخل الكهف من أشباح غريبة وأصوات عجيبة . ويقال ان الكهف يمتد بضعة كيلومترات حتى ينتهي الى قرية مجاورة تدعى (ابو علندة) .

ويبالغ سكان قرية (الرقيب) في التحدث عن اهمية هذا الغار وعن مشاهداتهم الخاصة وأكد لي غير واحد بأنهم يسمعون ليلة الجمعة من كل اسبوع نباح كلب ينبعث من الغار ويعتقدون انه صوت الكلب الذي رافق فتية الكهف .

وانني لادعو بهذه المناسبة ان ينصرف رجال البحث وعلماء الآثار الى القيام بحفريات واسعة واجراء تحقيقات دقيقة في هذا الموضوع الجليل خدمة للحقيقة والتاريخ .



النقوش الاثرية تبدو جلية على باب البناء ويقول احد اعيان الجبيهة .



منظر عام للكهف والبناء الذي اقيم عليه وتحيط به احجار ضخمة واطلال مائلة .



اول صورة اخذت للكهف وقد اقيم عليه بناء يعتقد انه هو المسجد الوارد ذكره في القرآن وظهر في الصورة الاستاذ ظبيان كاتب المقال والسيد صبحي الحلبي احد تجار عمان

بقية المقال المدرج فى مجلة « الشرطة والأمن العـام السورية » وقد ظهر فى الصفحة صورة الكهف أول العثور عليه وتراكمت أمامه الأحجار والأتربة . . ويرى فى مكان آخر من الصفحة مؤلف الكتاب والسيد صبحى الحلبى الذى صحبه فى هذه الرحلة والراعى الذى أرشدهما إلى موقع الكهف . . كما ظهرت فى المقال صورة عمان والطريق الذى يعتقد أن أصحـاب الكهف سلكوهـا

وكالة الأنباء والصحف الأردنية :

وبتاريخ ٣-٦-١٩٦٤ أذاعت وكالة الأنباء العربية ونشرت الصحف المحلية نبأ الاكتشاف واهتمام دائرة الآثار الأردنية بإجراء حفريات للكشف عن معالمه وقالت وكالة الأنباء بالحرف الواحد : « وكان من دواعى التعجيل فى حفر هذا الموقع أثريا — إلحاح رابطة العلوم الإسلامية وطلبها من مدير الآثار الدكتور عونى الدجانى إجراء حفريات مستعجلة » .

وأذاعت وكالة الأنباء المذكورة (كما نشرت الصحف المحلية) نبأ آخر بتاريخ ٥-٧-١٩٦٣ قالت فيه : « صرح الدكتور عونى الدجانى مدير دائرة الآثار الأردنية بأن الحفريات الجارية فى موقع أهل الكهف قد كشفت عن مزيد من الآثار الهامة » ونشرت عن لسان السيد رفيق الدجانى مساعده الفنى تصريحا أشار فيه إلى أن أعمال الحفر كشفت عن مسجدين أحدهما فوق الكهف والآخر إلى جنوبه كما كشفت عن جذع وجذور شجرة زيتون كبيرة قديمة العهد وقال : إن بعض المعمرين فى قرية أبو علنده المجاورة للكهف شاهدوا الشجرة منذ ٢٥ عاماً وأكلوا من ثمرها وكان علوها يقارب العشرين متراً ، وأن أحد سكان تلك القرية ويدعى الحاج فلاح الحنيطى قطع هذه الشجرة لأن الأهالى كانوا يقدسونها ويتبركون بها فخشى أن يؤدى بهم ذلك إلى عبادتها ، ونشرت الوكالة والصحف بيانات أخرى عن لسان المرحوم رفيق الدجانى حول ما تم اكتشافه من الآثار .

صدى الاكتشاف فى القطر المصرى

بعد أن تمت الحفريات الأولية واستكملنا الدراسات الضرورية حول هذا الموقع ، رأيت أن أستطلع آراء علمائنا الأجلاء ورجال الفكر فى القطر المصرى الشقيق فتوجهت إلى أرض الكنانة فى شهرى تشرين الثانى (نوفمبر) وكانون الأول (ديسمبر) سنة ١٩٧١ م وزرت فضيلة الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الحين الدكتور الفحـام وبحثت معه مطولا فى هذا الموضوع وقدمت إليه تقريراً عن تاريخ اكتشاف هذا الموقع ونتائج أعمال الحفر والتنقيب التى قامت بها دائرة الآثار الأردنية والتى كشفت عن معالم الكهف والقرائن التى اعتمدنا عليها للتثبت من وجود الكهف فى ذلك المكان ، فوعد فضيلته بأن يحيل التقرير إلى مجمع البحوث الإسلامية لينظر فيه فى أول اجتماع يعقده ويبدى رأيه فيما تضمنه التقرير من معلومات وبيانات واقترح فضيلته بأن ألقى محاضرة حول هذا الاكتشاف يستمع إليها بعض علماء الأزهر والآثار فاتفقت مع جمعية الشبان المسلمين على إلقاء هذه المحاضرة فى مركزها العام وألقيتها بالفعل وقد استمع إليها نخبة من رجال الدين والفكر الإسلامى وعلماء الآثار وعدد من طلاب الجامعات . وفيما يلى نص الدعوة التى وجهتها الجمعية بهذه المناسبة :

*****

المركز العام
لجمعية الشبان المسلمين
١٢ شارع رمسيس — القاهرة
ت : ٤٦٩٦٠–٧٤٤٧٦

يسر المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين دعوة سيادتكم لحضور المحاضرة التى يلقيها :

الأستاذ تيسير ظبيان

رئيس رابطة العلوم الإسلامية فى الأردن

وموضوعهـــا

اكتشاف موقع أصحاب الكهف

وذلك فى الساعة السابعة من مساء الخميس ١٤ شوال ١٣٩١ ﻫ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٧١ م بقاعة اللواء محمد صالح حرب بالمركز العـــام .

*****

وانتظرت طويلا رد مجمع البحوث الإسلامية أو تعليقه على التقرير الذى قدمته لشيخ الأزهر ولـكننى مع الأسف لم أتلق شيئاً حتى الآن .

ندوة الهيئـات الإسلامية بمصر :

وطلب إلى فى ندوة عقدتها العشـيرة المحمدية أن ألقى كلمة حول هذا الموضوع .

وفيما يلى نص الكلمة التى تفضلت بها مجلة المسلم الناطقة باسم العشيرة المحمدية تعليقا على ما ألقى فى هذه الندوة :

حفلت دار فضيلة الإمام الرائد بصفوة كريمة من رجالات الهيئات الإسلامية بالقاهرة استقبالا للسيد الداعية الإسلامى الـكبير الأستاذ محمد تيسير ظبيان وقد تحدث فى هذا الحفل سيادة الفريق سعد الدين الشريف المستشار السابق للسيد الرئيس محمد أنور السادات ، وفضيلة الأستاذ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف المصرى الأسبق ورئيس الشبان المسلمين ، والسيد الدكتور على عبد العظيم ، والأستاذ الكبير السيد محمود عبد اللطيف المحامى ، وقدم الحفل .

وكان ممن شهد هذا اللقاء طائفة كبيرة من العاملين بالصحافة والإذاعة والتليفزيون ، ومجلس الشعب المصرى ، وبعض العلماء والطلبة وأعضاء قسم السيدات والفتيات ، وقد انتهز رجال الإعلام هذه الفرصة فأذاعوا ونشروا ما حدثهم به عن كشف كهف أهل الـكهف ، والتأكد من صحة الـكشف للتناسب الواقعى بين الـكشف وبين آيات القرآن الـكريم حتى اعتبر بعض كبار العلماء المحدثين

أن هذا الكشف آية من آيات الله على صدق القرآن الكريم ونبيه المصطفى العظيم ولو كان هذا الكشف فى دين آخر لكان له شأن أى شأن .

وقد كانت هذه الأمسية الدينية من أفضل أمسيات الموسم فى المجتمع المصرى .

اهتمام إذاعة القرآن الكريم :

وكان بين الذين حضروا الندوة التى دعا إليها رائد العشيرة المحمدية واستمعوا إلى كلمتى الدكتور كامل البوهى مدير إذاعة القرآن الكريم فى محطة الإذاعة المصرية فأعرب لى عن إعجابه البالغ بهذا الاكتشاف وتقديره للكلمة التى ألقيتها ، ودعانى إلى زيارته فى مكتبه بدار الإذاعة فى اليوم التالى . فلبيت دعوته وكانت جلسة ممتعة تعرفت خلالها إلى بعض زملائه فى الإذاعة ووقفت على الخطوات المباركة التى تخطوها (إذاعة القرآن الكريم) لنشر الدعوة الإسلامية ورفع راية القرآن الكريم عن طريق برامجها الحافلة بالموضوعات الدينية فى مختلف المجالات .

وفى أثناء هذه الجلسة وجه إلىّ الدكتور البوهى عدة أسئلة حول (اكتشاف موقع الكهف) والمراحل التى قطعها هذا الاكتشاف والنتائج التى توصلنا إليها وقد تم تسجيل أجوبتى على هذه الأسئلة فى حينها ثم أذيعت فوراً فى برنامج الأخبار ، وما كادت تذاع حتى اتصل أحد محررى جريدة الأهرام (وهو الأستاذ مصطفى الطرابيشى) بالدكتور البوهى وأعرب له عن رغبته فى الاجتماع بى والتحدث

معى حول البيانات التى أذيعت عن موضوع (الـكهف) وقد التقينا بالفعل ودار بيننا حديث مستفيض حول هذا الموضوع .

اهتمام جريدة الأهرام :

ونشرت جريدة الأهرام بتاريخ ٤-٦-١٩٧٦ م خلاصة هذا الحديث تحت العناوين البارزة التالية : (أهل الـكهف . اكتشاف كهفهم فى قرية أردنية جنوب عمان . رئيس رابطة العلوم الإسلامية بعمان يتحدث إلى صفحة الفكر الدينى عن تفاصيل الـكشف الذى سيتم إعلانه رسميا) . وجاء فى مقدمة الحديث المنشور : « فى خلال مروره بالقاهرة قادما من موريتانيا تحدث إلى صفحة « الفكر الدينى » الأستاذ محمد تيسير ظبيان رئيس رابطة العلوم الإسلامية فى عمان عن قصة اكتشاف موقع كهف أصحاب الـكهف فى قرية (الرقيم) على بعد ٧ كيلومترات جنوب عمان فى الأردن . ثم نشرت الأهرام كيفية العثور على الـكهف وطريقة اكتشافه ونتائج الحفريات والأدلة على صحة وجود الـكهف فى ذلك الموقع ومصادر البحث الإسلامية والمسيحية .

ثم عادت « الأهرام » فنشرت بتاريخ ٣٠-٦-١٩٧٦ بيانات أخرى عن الكهف معززة بالصور التى التقطت مؤخراً وسردت الأدلة والبينات التى تدعم الروايات الإسلامية والتى تنطبق كل الانطباق على ما ورد فى الآيات الكريمة فى سورة الكهف وأشارت إلى زيارة أحد المهندسين الجيولوجيين للموقع وما لاحظه فى تلك المنطقة من مواد كيماوية وما تحويه تربتها من رواسب عضوية ممتزجة بأملاح معدنية

كان لهـا الأثر الفعال فى حفظ أجسامهم طيلة الفترة التى أخلدوا فيها إلى النوم وقد اعتبر هذه الظاهرة من قبيل التحنيط الإلهى .

واستطلعت « الأهرام » بهذه المناسبة رأى الدكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الآثار فى جامعة القاهرة فى هذا الاكتشاف فقالت : « لكى نعرف العصر الذى عاش فيه فتية الكهف لابد من تحليل تربة الكهف (جيولوجيا) والقيام بالكشف على إحدى الجماجم بواسطة كربون (١٤ المشمع) وإذا كانت وسيلة الكشف هذه غير موجودة فى الأردن فنحن على استعداد لإرسال مندوب من عندنا للقيام بهذه المهمة » .

وقالت الدكتورة سعاد ماهر : «إن الصور التى أمامى عن الكهف وعن أعمدة المعبد الذى عليه أستطيع الجزم بأنها تنتمى إلى العصر البيزنطى وفى هذا العصر كانت المسيحية قد استقرت وأصبحت الدين الرسمى للدولة مما يتنافى والعصر الرومانى الذى عاش فيه الفتية حيث أووا إلى الكهف هرباً من الظلم والطغيان مما يجعل الكهف المكتشف محل شكوك . ومع ذلك فليس من المستبعد أن يكون المعبد قد أعيد بناؤه فى العصر البيزنطى لذلك فإنه بالأسلوب العلمى والأثرى والتاريخى يمكن الاستدلال على حقيقة الكهف المكتشف » .

تعليقنا على هـــذا التحفظ :

وتعليقنا على ما ذهبت إليه الدكتورة سعاد ماهر عميدة كلية الآثار : أن ما ورد فى تحفظها حول هذا الاكتشاف حجة عليها لا لهـا فى هذا

التحفظ فنحن نؤيدها فى قولها : إن الأعمدة والنقوش والزخارف التى تم العثور عليها واكتشافها فى أعقاب أعمال الحفر والتنقيب هى من العصر البيزنطى وليس من العهد الرومانى (الوثنى) وقد عزب عنها أن جميع هذه المعالم الأثرية التى عثر عليها فى داخل الكهف وخارجه إنما صنعت فى العهد البيزنطى أى بعد استيقاظهم من رقادهم وهذا يؤيد وجهة نظرنا ويتفق مع الروايات المسيحية والإسلامية على السواء . فهل من المعقول أن يبنى المسجد وتقام الأعمدة وتصنع الزخارف والنقوش على باب الكهف وعلى واجهات الأضرحة تكريما لأولئك الفتية الأبرار فى عهد كان يطارد المؤمنين ويضطهد الموحدين ويفتك بالمتمردين على عبادة الأصنام مما حمل أولئك الفتية على الفرار من بطش الظالمين .

* * *

آراء رجال الدين والمفكرين فى مصر

وقد بلغ اهتمام صحيفة « الأهرام القاهرية » بهذا الموضوع ، وتتبعها لأخبار الاكتشاف ، وما تركه من صدى فى الأوساط الإسلامية بمصر أن مندوبها الأستاذ مصطفى الطرابيشى أخذ يستطلع آراء العلماء ورجال الفكر الإسلامى فنشر فى الأهرام بتاريخ ١١-٦-١٩٧٦ بعض التحقيقات التى قام بها حول هذا الموضوع :

وقد استهلها بقوله : « اتفقت آراء رجال الدين على أن ما نشرته صفحة (الفكر الدينى) فى الأسبوع الماضى عن نبأ اكتشاف كهف (أهل الكهف) فى قرية (الرقيم) جنوب عمان بالأردن يؤكد

معجزة القرآن الخالدة وأنه كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

وفيما يلى نص ما نشرته (الأهرام) من هذه الآراء :

• يقول فضيلة الشيخ عبد الرحمن النجار مدير عام المساجد بوزارة الأوقاف : إن القرآن الكريم لم يحدد مكان أهل الكهف وإن كانت أحداث القصة قد جرت فى منطقة الشام . . فإذا ما اكتشف موقع الكهف الآن فإن هذا يعتبر إضافة للفكر الدينى المرتبط بالقصة التى تفيد الأجيال فى مختلف العصور . . ونرجو مداومة الدراسة لمزيد من الاكتشافات للمواقع التى جرت فيها أحداث القرآن الكريم ومسرحها فى المنطقة العربية لتزيد يقيننا كل يوم بقوله تعالى : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** » .

• ويقول الدكتور مصلح بيومى مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية : إن آيات الله لا تنفد وكل يوم تتحقق المعجزات القرآنية . . . ومن هذه المعجزات اكتشاف كهف « أهل الكهف » إننا عندما نرى هذا الاكتشاف اليوم نتأكد من صدق القصة كما وردت فى القرآن الكريم .

• ويقول الدكتور إبراهيم الخولى الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر : إن القرآن حريص بصفة عامة فى قصصه على عدم النص على الأشخاص أو الأماكن والأعداد وغيرها من التفاصيل التى لا ضرورة لها فيما يتصل بالمغزى والسياق لما يريده . . ومع هذا يشير إلى قرائن يستطيع المدقق أن يكشف من خلالها حقائق كثيرة ، وكأنما قصد القرآن الكريم بذلك تحميل نصوصه كنوزاً

خفية من آيات صدقه يجليها للناس حيناً بعد حين . وهذا ما حدث في قصة أهل الكهف التي تحمل الكثير من القرائن :

• قرينة جغرافية . . تتصل بطبيعة موقع الكهف وعلاقته بحركة الشمس من حوله في توقيتات محددة «**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه**» ـ كما أن موقع الكهف يتصف بالقرب من مدينة معهودة قريبة من الكهف . «**فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة**» .

• قرينة تاريخيــة اجتماعية . . تتصل بطبيعة العصر فهو عصر طغيان وثني واضطهاد ديني .

وهناك قرينتان إحداهما تشريحية والأخرى عددية .

وهنا يعتقد الدكتور إبراهيم الخولي أن توسيط عبارة « رجماً بالغيب » بعد ذكر الأعداد التي تضاربت فيها الأقوال إنما هو ترجيح لعددهم « **ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم** » وأن مصاحبة الكلب لهم يثير أمامنا صعوبة تكرار وجود كهف آخــر به سبع جماجم بشرية وجمجمة كلب .

• وقد ربط كل من فضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي مدير عام الدعوة الإسلامية والشيخ زكريا الزوكة وكيل عام الدعوة بين هذا الكشف وما يثيره في النفوس من قوة إيمان الفتية الذين صمدوا أمام الحاكم الوثني ووجوب أن يجعل شبابنا من سيرتهم أسوة حسنة لهم في قوة الإيمان والعقيدة .

تحقيقات وكالة أنباء الشرق الأوسط

ونشرت الصحف العربية بتاريخ ٤-٥-١٩٧٧ تحقيقات قامت بها وكالة أنباء الشرق الأوسط (المصرية) أجرتها (آمال سيف الدين) واستطلعت آراء بعض المفكرين ورجال الدين وهى على جانب من الأهمية وقد رأينا أن نثبتها فى هذا الكتاب :

أعلنت الحكومة الأردنية فى شهر شباط (فبراير) أنها قررت إطلاق اسم « الرقيم » على قرية (الرجيب) الأردنية باعتبار أنها هى نفس موقع – أهل الكهف – أثار هذا من جديد مناقشات علمية ودينية طويلة وكان السؤال :

هل صحيح أن – الكهف – الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم هو نفس الكهف الذى عثر عليه أخيراً فى الأردن قريباً من العاصمة عمان ؟

إذا كانت هناك بعض الشواهد التى تؤيد هذا الرأى فلابد أيضاً من دراسة دينية وعلمية تقوم بها لجنة من الأثريين والجيولوجيين وكبار علماء الإسلام .

بداية القصة :

ولكن متى بدأت الحكاية ؟

بعد العديد من محاولات التنقيب والبحث فى منطقة أثرية جنوب شرقى عمان بحوالى ثمانية كيلومترات فى منطقة كل ما فيها هو السماء والصحراء وطريق ممهد حديثا يلمع بالسواد ويربط بين الأردن والسعودية . . . فى هذه المنطقة الجبلية حيث تقع قرية بسيطة يسكنها

عدد قليل من البدو اسمها – الرجيب – تنتشر مجموعة من الكهوف الصغيرة . . صخور قديمة تكاد تنطق بالتاريخ السحيق .

وسط هذا تم العثور على هذا الكهف الذى تتركز عليه الآن أضواء الباحثين والعلماء . .

على يمين الكهف نجد جدراناً من الصخور القديمة ارتفاعها نحو متر ، فى داخلها ترتسم آثار كنيسة تحولت إلى مسجد وبجواره آثار شجرة زيتون تآكلت بفعل الزمن . . وعلى يسار الكهف أعمدة ضاربة فى القدم عليها زخارف منحوتة على أشكال نباتية .

تهبط على ثلاث درجات منحوتة فى الصخور لتجد سبع جماجم أثرية وأخرى لفك حيوانى ، كما ترى فجوة فى أعلى الكهف يدخل منها الضوء والهواء لتجعله أشبه بمكان للإعاشة وليس كمقبرة وعلى قمة الكهف آثار كنيسة بيزنطية تحولت أيضا إلى مسجد .

وقد قام عدد من المسئولين عن الآثار بالأردن وعلى رأسهم وزير السياحة وعدد من سفراء الدول الإسلامية بالتحقيق فى مدى صحة هذا الكهف خاصة بعد أن عثر خبراء الآثار بداخله على هذه الجماجم السبع مع فك حيوانى لكلب . .

وقد اختلفت الآراء فى عدد أصحاب الكهف . . فاليونان واللاتين تقول سبعة ، والسريان ثمانية ، واليعاقبة ثلاثة . بينما يقول القرآن الكريم :

(قل ربى أعلم بعدتهم)

آراء الأثريين والمؤرخين :

لكن ما رأى خبراء الآثار ورجال الدين والعلم سواء على الصعيد المحلى أو على الصعيد العربى ؟

لنبدأ برجال الآثار والتاريخ :

يقول المؤرخ الفلسطينى محمود العابدى : — لا بد لى أولا وقبل كل شيء أن أستعرض مجموعة من الوقائع التاريخية :

— إن المقدسى ذكر فى كتابه — أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم — أن الحاكم الرومانى القديم دقلدنايوس حكم هذه المنطقة حوالى عام ٣٠١ — القرن الرابع الميلادى — وأن هذا الكهف كان مقبرة للدفن .

ثم أنه فى عهد أبى بكر حوالى سنة ٦٣٣ ميلادية أرسل عبادة بن الصامت إلى الروم فى هذه المنطقة يدعوهم إلى الدين الإسلامى فقال لهم :

هنا يرقد السبعة النيام .

— وفى زمن المنصور جاءت بعثة إلى هذا المكان فقيل لهم : لو نظرتم فى الكهف لأصبتم بالعمى . فرجعت البعثة دون أن تدخله .

ويلخص العابدى وجهة نظره فى أن هذا الكهف ميراث إسلامى منذ القرن الرابع الهجرى،ودليل ذلك هذا المسجد الذى يقع بجوار الكهف . . فهو مسجد أقيم للصلاة وقد كان كنيسة بيزنطية . . واضح من آثارها .

أما وجهة النظر الأخرى فمأخوذة عن خلاصة جهد بذله المرحوم

رفيق الدجانى الذى يشغل منصب المساعد الفنى لمدير الآثار العامة بالأردن . وقد تفرغ فترة لاكتشاف الكهف وخرج بمجموعة من الحقائق اعتبرها دلائل تؤكد أنه كهف — أهل الكهف —

فقد بحث الدجانى فى أشهر الكهوف الموجودة فى العالم وأهمها كهف — إفسوس — فى تركيا وكهف عثر عليه فى شبه جزيرة اسكندنافية شمال أوروبا ووجدوا فيه سبع جثث رومانية ، وكهوف الشام المقدسة الموجودة فى جبل قاسيون التى تقع مدينة دمشق على سفحه .

وخرج المرحوم الدجانى بنتيجة ، وهى أن كهف الأردن هو الذى تنطبق عليه أكثر من غيره صفات — أهل الكهف — التى ورد ذكرها فى القرآن الكريم .

فقد اقترن ذكر الكهف — بالرقيم — القرية الأردنية التى تقع قرب الكهف بمائتى متر معروفة باسم الرجيب ومن عادة البدو أن ينطقوا القاف جيماً ، ثم حرف الميم — إلى حرف الباء فصارت الرقيم — هى الرجيب .

ثم إن الكهف — كما يقول الدجانى — تنطبق عليه الآية الكريمة ..

فالشمس إذن تشرق على يمين الكهف وتغرب عن يساره ، ثم إن به الفجوة المذكورة ، كما توجد بالكهف كنيسة منذ عهد انطاسيوس — ٤٩٧م — تحولت إلى مسجد فى عهد عبدالملك بن مروان .. والقرآن يقول :

« قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا » .

وكان رأى المرحوم الدجانى أن المسجد هنا يعنى مكان السجود لله حتى فى الكنائس المسيحية .

لابد من الدراسة العملية :

أما الدكتور فوزى الفخـــرانى رئيس قسم الدراسات القديمـة فى جامعة الإسكندرية فيقول :

إن هناك احتمالا كبيراً فى أن هذه الجماجم التى عثروا عليها داخل الكهف ترجع إلى العصر الرومانى ، ودليل ذلك تلك النقوش القديمة ، أما الجماجم فربما تكون لأشخاص استشهدوا أيام اضطهاد الرومان للمسيحية لذلك أصبحت هذه المقبرة مبجلة مقدسة فى العصر المسيحى على أنها مقبرة لشهداء رومان اعتنقوا المسيحية زمن الاضطهاد وزيادة فى تبجيلهم كشهداء أقاموا بجوارهم كنيسة للصلاة على أرواحهم ، إلى أن جاء الإسلام فى عهده المبكر فأقاموا لهم مسجداً فى هذا المكان المقدس أمام هذا الكهف . . ودليل قدم هذا المسجد أن محرابه يتجه نحو بيت المقدس وليس نحو الكعبة . . من هنا أصبحت هذه المنطقة منطقة مقدسة عند المسلمين والمسيحيين على السواء .

ويضيف الدكتور الفخرانى :

– لا بد أن أعود فأقول : إن معرفة عمر هذه الجماجم يستلزم إجراء بعض التحاليل والأشعة اللازمة لمعرفة تاريخ قدمها ، أما بالنسبة للفلك الحيوانى فليس هناك قرينة على أنه فلك لـكلب بالذات . . فربما يكون لأحد الأغنام التى تكثر فى هذه المنطقة باعتبارها خير مكان للرعى .

يرد على ذلك أحد المهتمين بالآثار فى الأردن وهو محمد تيسير ظبيان الذى أعلن أخيراً عن اكتشافه الكهف بقوله :

– إنى استعنت فى البحث ببعض أسفار اليهود وقساوسة النصارى وهم الذين ساعدوا فى تفسير أحداث ورد ذكرها فى القرآن الكريم تناولت أحداثاً تخصهم قبل البعثة المحمدية حتى وصلت إلى بطريرك السريان فى دمشق . والسريان كانوا موجودين فى ذلك العهد البعيد . وقد سألت البطريرك عما ورد فى كتبهم عن الكهف فأسمعنى أبياتاً من الشعر السريانى القديم تحكى قصة أهل الكهف.وكان ذلك من الأدلة على إعجاز القرآن الذى أورد المعلومات الدقيقة عنهم . وكان أحبار اليهود قبل البعثة المحمدية بكثير يسمعون هذه المعلومات كقصة .

إن هذا لا يؤكده سوى البحث العلمى والأثرى والتاريخى .

رأى رجـــال الدين :

وعن الكهف يقول رجال الدين الذى يمثلهم الدكتور إبراهيم الخولى الأستاذ بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر :

إن القرآن حريص بصفة عامة على عدم النص على الأشخاص أو على تأكيد عددهم وغيرها من التفاصيل التى لا ضرورة لها فيما يتصل بالمغزى والسياق لما يريده ومع هذا يشير إلى قرائن يستطيع المدقق أن يكشف من خلالها حقائق كثيرة ، وكأنما قصد القرآن الكريم بذلك تحميل نصوصه كنوزاً خفية من آيات صدقه يجليها للناس حينا بعد حين . . وهذا ما حدث فى قصة أهل الكهف التى تحمل الكثير من القرائن صحتها . . مثل تلك القرائن الجغرافية وعلاقتها بحركة الشمس .

« وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه » .

كذلك هنا قرينة تاريخية اجتماعية تتصل بطبيعة العصر ، فهو عصر طغيان وثني واضطهاد ديني . . كذلك ذكر الأعداد التي تضاربت فيها الأقوال إنما هو ترجيح لعددهم - يقولون سبعة وثامنهم كلبهم - وعن مصاحبته لهم يكون من الصعب وجود كهف آخر به سبع جماجم بشرية وجمجمة كلب وتنطبق عليه كل المواصفات القرآنية .

هذا هو كهف قرية الرجيب الذي أعلن عن اكتشافه أخيراً بعد أعمال أثرية شاقة امتدت أكثر من عشر سنوات . .

وتبقى الكلمة الأخيرة بعد ذلك لعلماء المختبرات !

*****

بحث علمي قيم فى مجلة العربى الكويتية

وقد نشرت مجلة العربى التى تصدر فى الكويت والمعروفة بسعة انتشارها فى عددها الصادر فى شهر ذى القعدة (١٣٩٦) نوفمبر (١٩٧٦) بحثاً علمياً رائعاً بقلم الدكتور عبد الله العمرانى تحت عنوان (النيام السبعة وأصحاب الكهف) تناول فيه بإسهاب وتدقيق ما ذكره بعض كتاب الغرب عن الكهف ، وفند مزاعم الذين حاولوا تشويه الحقائق من هؤلاء الكتاب ، وقارن بين الخطوط العامة لأسطورة النيام وبين تفاصيل قصة أصحاب الكهف الواردة فى القرآن الكريم وقال : إنه لا علاقة بين هؤلاء وأولئك على الرغم من أن « الإسرائيليات » حاولت جهد طاقتها أن تخلق تلك العلاقة وتعززها ، ونوه بأوجه التباين والاختلاف بين قصة أصحاب الكهف وأسطورة النيام السبعة من حيث العدد والزمان والمكان ، وتحدث عن التنصيص فى تحديد فترة نوم أصحاب الكهف فى القرآن الكريم وهى ثلاثمائة سنة بالتقويم الشمسى ، وازدادوا تسع سنوات بالتقويم القمرى وعلق على ذلك بقوله : هذا التنصيص فى منتهى الدقة وكامل التأكيد ، بل هو المعجزة بعينها فى حق نبي أمى لا يعرف القراءة ولا الكتابة . ويعرف ما يجهله اليوم كثير من المثقفين ، فكم منهم يعرف بالتدقيق أن عدد أيام السنة الشمسية ٢٤٢٢ ، ٣٦٥ وأيام السنة القمرية ٣٥٤,٣٦٧١ يوم . وأن الفرق يزداد على مر الثلاثمائة سنة فيصير تسع سنوات ولا عبرة بكسور ؟ أليس هذا وحده دليلا كافياً على أن القرآن من عند الله ؟؟
(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .

ثم تحدث الدكتور العمرانى عن كلمة (الرقيم) وما ورد حولها من معان وأردف قائلا : « **وأخيراً تأتى دائرة الآثار الأردنية بالتعاون مع بعض المختصين ليؤكدوا لنا أنه قد تم اكتشاف موقع كهف (أصحاب الكهف) وهى قرية (الرقيم) التى حرف الأهالى اسمها إلى (الركيب) وهى واقعة على بعد سبعة كيلومترات جنوبى مدينة عمان فنستمع لرئيس رابطة العلوم الإسلامية فى عمان الأستاذ ظبيان وهو فى حديث له يقول ماخلاصته** (وهنا أثبت الدكتور العمرانى خلاصة الأحاديث التى نشرتها الأهرام وغيرها من الصحف العربية والإيرانية عن هذا الاكتشاف على لسان مؤلف الكتاب) .

وأخيراً ختم الدكتور (العمرانى) بحثه القيم بقوله :

« ولا يسع الباحث أمام هذا كله إلا أن يستبشر خيراً بما قام به إخواننا فى المملكة الأردنية الهاشمية . ويرحب باكتشافهم موقع أصحاب الكهف الذى يقتضى العقل والمنطق التاريخى أن **يحتضنه مهد الحضارات ، وموطن النبوات ، ومنبع الأديان السماوية فى قلب منطقة الشرق الأوسط** . ولا ريب أن الذى يهمنا فى عالم البحث والتنقيب — وقد انكشفت الحقيقة بعد حقبة من الدهر — أن نتذكر على الدوام أن الحكمة ضالة المؤمن ينشدها باستمرار ، ويلتقطها أنى وجدها » .

*****

بحث آخر فى مجلة الوعى الإسلامى

ونشرت مجلة (الوعى الإسلامى) التى تصدر فى الكويت فى عددها المؤرخ فى ١ ذى القعدة ١٣٩٧هـ ـ أكتوبر ١٩٧٧م بحثاً قيما بعنوان : (الكشف عن أصحاب الكهف والدراسات التاريخية فى الإسلام) بقلم الدكتور حسن فتح الباب وقد جاء فى مقدمة المقال :

حملت إلينا الصحافة العربية فى الآونة الأخيرة نبأ الإعلان عن العثور على الكهف الذى حفظ فيه رفات الفتية الذين لاذوا به فراراً من عسف الإمبراطور الرومانى (دوقيانوس) والذين ورد ذكرهم فى القرآن الكريم ووصفهم الله تعالى بقوله : « **إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى** » . وقد صدر الإعلان المنوه عنه من العالم الأردنى الأستاذ محمد تيسير ظبيان وهو رئيس رابطة العلوم الإسلامية فى عمان إذ قال : إن الدراسة التاريخية والأثرية التى استغرقت أكثر من عشر سنوات داخل الأردن وخارجه قد أفضت إلى الكشف عن موقع الكهف فى قرية « الرقيم » على مسافة سبعة كيلومترات جنوبى عمان عاصمة الأردن ـ وقد أصبحت تسمى « الرجيب » بعد تحريف اسمها . وعثر داخل الكهف على سبع جماجم بشرية وجمجمة كلب . وتطابق الدلائل والقرائن ما ورد ذكره فى سورة الكهف وأضاف العالم الأردنى أن موقع الكشف يتم إعداده ليكون مزاراً لكل المسلمين ، كما قامت وزارة الأوقاف الأردنية بنشر كتيب خاص عن الكهف .

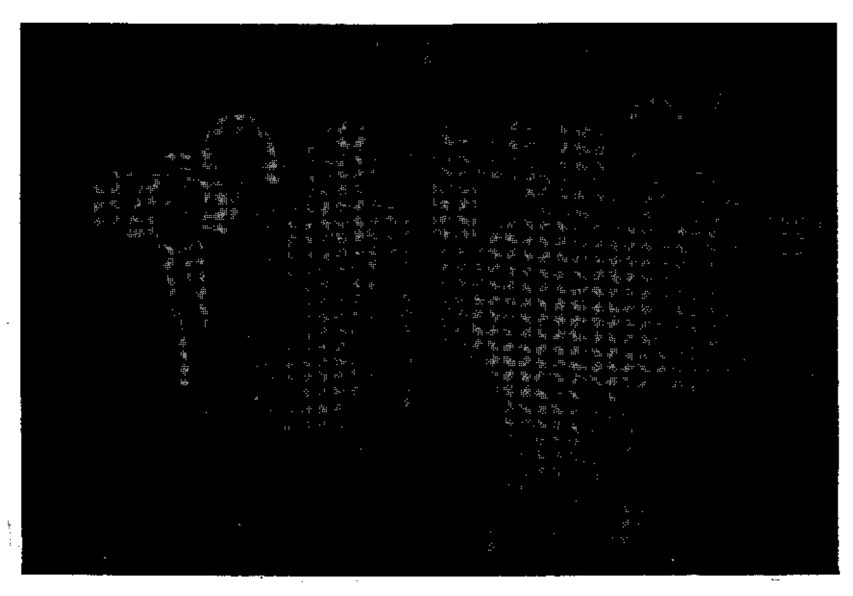
ويتابع كاتب المقال حديثه فيقول : ورغم أن علماء الآثار والجيولوجيا العرب والمسلمين ورجال الأزهر لم يدلوا بعد برأيهم فى مدى صحة هذا الكشف ليتأكد العالم الإسلامى أن الكهف هو على وجه اليقين الموضع الذى أوى إليه الفتية السبعة للنجاة بدينهم من الظلم الوثنى ، **فإن الدراسة العلمية التى اضطلع بها الأستاذ محمد ظبيان والمناهج التى اتبعها فى البحث جديرتان بالإشادة والتمجيد لما تصدران عنه من إحياء ومتابعة وتطوير لجهود العلماء والمسلمين الأوائل فى هذا الصدد .**

ثم تبسط كاتب المقال فى البحث حول هذا الموضوع وأثبت فى مقاله ما أسفرت عنه أعمال التنقيب والحفر عن نتائج ، وآراء بعض العلماء المعاصرين فى هذا الكشف وخلص إلى القول فى ختام مقاله إلى أن كهف إفسوس الذى ذكره بعض المؤرخين لا يطابق فى أوصافه كهف الرقيم المذكور فى القرآن الكريم وقال : ولم يصل بعد الباحثون المتخصصون إلى رأى حاسم فى الموضوع . ولكن الدلالات الحضارية والعقائدية التى نستقيها من هذه المساعى العلمية التاريخية متوافرة ، وهى تقوم بذاتها شواهد حق على تأصل روح البحث العلمى فى الإسلام ، والعمل على تحصيل المعرفة فى كافة مظانها للتزود بأسمى ما يتزود به المسلم من زاد مصداقاً لقوله تعالى : « **وقل رب زدنى علماً** » . والتعاون العلمى والثقافى بين المسلمين وغيرهم على المستوى الدولى ، واتخاذ العلم سبيلا إلى فهم ما جاء فى كتاب الله وتفسيره ، واتخاذه أيضاً وسيلة لنشر رسالة الإسلام فى آفاق الأرض ، وسبباً لتمكين مجتمعه الذى أسسه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة . يدل على ذلك قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « تفقهوا قبل أن تسودوا » .





الأمين العام الراحل لرابطة العـالم الإسلامى الشيخ محمد سرور الصبان
أثناء زيارته لموقع أصحاب الـكهف يحيط به أعضاء رابطة العلوم الإسلامية
يتوسطهم المفتى الراحل الشيخ عبد الله القلقيلى مفتى الأردن العـام



سفراء الدول العربية والإسلامية فى عمان فى زيارتهم لموقع الـكهف وقـد
ظهر بينهم وزير السياحة والآثار والقائم بأعمال السفارة المصرية





أعضاء الوفد القطرى وممثلو وزارة الأوقاف وأعضاء رابطة العلوم الإسلامية
أمام باب الكهف وتبدو على جوانب باب الكهف النقوش البيزنطية

السيد الباهى الأدغم رئيس الحكومة التونسية الأسبق ومعه الأستاذ رفيق الدجانى
مساعد مدير دائرة الآثار وبعض أعضاء رابطة العلوم الإسلامية



صدى الاكتشاف فى القطر الإيرانى

اهتمام جريدة اطلاعات :

ما كان يدور بخلدنا أن الصحف والأوساط العلمية فى إيران ستولى هذا الموضوع الاهتمام الذى لمسناه فى ذيوع نبأ الاكتشاف فقد زودتنا السفارة الإيرانية فى عمان بأعداد من الصحيفة الكبرى التى تصدر يومياً فى طهران باسم (إطلاعات) وهى تشتمل عادة على ستين صفحة من القطع الكبير وتصدر باللغة الفارسية من قبل مؤسسة (إطلاعات) وتربو كمية طبعها يومياً على مليون نسخة . وتصدر المؤسسة أيضاً مجلة شهرية باللغة العربية باسم (الإخاء) وصحفاً أخرى باللغات الأجنبية .

وقد نشرت الصحيفة المذكورة فى عددها الصادر فى شهر رجب ١٣٩٦ ﻫ وفى صفحتها الأولى بياناً شاملا بأحرف بارزة عن اكتشاف موقع (الكهف) مع عدد من الصور . وفى اعتقادنا أنها نقلت ذلك عن جريدة الأهرام ، وأضافت إلى ذلك تفاصيل قصة أصحاب الكهف كما وردت فى كتب التفسير والتاريخ .

وتقديراً لموقف هذه الصحيفة من هذا الاكتشاف ورغبة فى إطلاع الشعب الإيرانى الكريم على مزيد من المعلومات فقد بعث المؤلف إلى رئيس تحرير الصحيفة المذكورة برسالة شكر وأرفقها ببيانات وافية وصور مختلفة وقد بادرت الصحيفة إلى نشر هذه البيانات مع الصور فى العدد الصادر فى شعبان ١٣٩٦ وفى أبرز مكان على الصفحة الأولى وبعناوين كبيرة ، كما نشرت مجلة (الإخاء) التى تصدر عن هذه المؤسسة باللغة العربية جميع البيانات والصـــور .

آراء علمـــاء الشيعة :

ولم تكتف جريدة (اطلاعات) بما نشرت بل اتصلت بكبار رجال الدين وعلماء الشيعة فى إيران واستطلعت آراءهم فى هذا الاكتشاف بعد أن قدمت لهذه الآراء بكلمة جاء فيها ما ترجمته : « إن كشف موقع أصحاب الكهف فى الأردن يثبت إحدى المعجزات القرآنية الكبرى ، وهو الآن موضع بحث ونقاش لدى علماء الدين فى إيران وبقية الأقطار الإسلامية وبانتظار مايتوصل إليه علماء الآثار وأرباب الاختصاص من معلومات جديدة » .

وفيما يلى خلاصة آراء العلماء والمفكرين الإيرانيين حول هذا الموضـــوع :

قال آية الله الشيخ بهـــاء الدين نورى (من كبـار علماء الشيعة فى طهران) : إذا صحت المعلومات التى وصلت إلينا عن اكتشاف هذا الموقـع فيمكن أن نعتبر ذلك مصدر فخـــر واعتزاز لجميع المسلمين فى مختلف أقطار الأرض وهو من أقوى الأدلة على الاتفاق بين الآراء الدينية والنظريات العلمية .

وقال **آية الله السيد على أصغر الجزائرى** وهو من علماء الشيعة أيضاً فى طهران : إن اكتشاف موقع (الكهف) يعتبر من علامات الساعة التى تظهر فى آخر الزمان ، وهو يتفق مع وجهات نظر الشيعة بأن أصحاب الكهف هم من أصحاب المهـــدى إمام الزمان وسيكونون فى خدمته لدى ظهوره فى مكة .

وقال السيد **كمال سبزوارى** الواعظ والخطيب المعروف فى طهران : على علماء المسلمين أن يعكفوا على تفهم قصة أصحاب الكهف ويفسروا

ما ورد على لسان الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن هؤلاء الفتية من رموز وإشارات فى القصة أمور ظاهرة وأخرى باطنة .

وممن تحدثوا حول هذا الاكتشاف أيضاً : الإمام مردوخ وموسى ذاكرى من العلماء البارزين فى إيران .

العالم الإيرانى الطباطبانى

يدعم وجهة نظرنا فى موقع الكهف

ممن أيدوا وجود الكهف فى هذا المكان من المفسرين المعاصرين العلامة الطباطبائى من كبار علماء إيران وصاحب تفسير الميزان فقد علم بكشف معالم كهف الرقيم واطلع على نتائج أعمال الحفر والتنقيب ونشر فى تفسيره بحثاً مطولا عن قصة أصحاب الكهف وما تضارب حولها من أقاويل وروايات وما تردد حول موقع الكهف من آراء

وبعد أن نفى صاحب التفسير نفياً قاطعاً الروايات التى تزعم أن الكهف موجود فى إفسوس لاعتبارات ودلائل متعددة قال :

كهف الرجيب (الرقيم) وهذا واقع على مسافة ثمانية كيلومترات من مدينة عمان عاصمة الأردن بالقرب من قرية تسمى رجيب والكهف فى جبل محفور على الصخرة فى السفح الجنوبى منه ، وأطرافه من الجانبين الشرقى والغربى مفتوحة يقع عليه شعاع الشمس منها ، وباب الكهف يقابل جهة الجنوب .

وفى داخل الكهف صفة صغيرة (مصطبة) تقرب من ثلاثة أمتار فى مترين ونصف على جانب سطح الكهف المعادل لثلاثة فى ثلاثة تقريبا . وفى الغار عدة قبور على هيئة النواويس البيزنطية كأنها ثمانية

أو سبعة . وعلى الجدران نقوش وخطوط باليونانى القديم والثمودى ممحية لا تقرأ ، وأيضاً صورة كلب مصبوغة بالحمرة وزخارف وتزويقات أخرى .

وفوق الغار آثار صومعة بيزنطية (المسجد) وتدل النقود والآثار الأخرى المكتشفة فيها على كونها مبنية فى زمن الملك جوستينوس ٤١٨-٤٢٧ وآثار أخرى تدل على أن الصومعة تحولت ثانية بعد استيلاء المسلمين على الأرض مسجداً إسلامياً مشتملا على المحراب والمئذنة والميضأة ، وفى الساحة المقابلة لباب الكهف آثار مسجد آخر بناه المسلمون فى صدر الإسلام ثم عمروه وشيدوه مرة بعد مرة وهو مبنى على أنقاض كنيسة بيزنطية كما أن المسجد الذى فوق الكهف كذلك .

وكان هذا الكهف – على الرغم من اهتمام الناس بشأنه وعنايتهم بأمره كما تكشف عنه الآثار – متروكاً منسياً وبمرور الزمان أصبح خربة وردماً متهدماً حتى اهتمت دائرة الآثار الأردنية أخيراً بالحفر والتنقيب وقد وقع ذلك سنة ١٩٦٣ م المطابقة ١٣٨١ هـ .

ثم يقول صاحب التفسير : إن الأستاذ الأثرى (رفيق الدجـــانى) وصف الآثار التى اكتشفت مما يؤيد كون هذا الكهف هو كهف أصحاب الكهف الذى ورد ذكره فى الكتاب العزيز وقامت عدة أمارات وشواهد أثرية على ذلك وبعد أن استشهد بالدلائل والبينات التى أوردناها ختم حديثه هذا بقوله :

« وبعد هـــذا كله فالشخصيات التى وردت فى القرآن الكريم للكهف أوضح انطباقاً على كهف الرقيم من غيره » .

*****



شرایط واگذاری خا

لوامر شاهنشاه به دولت :

تامیتوانید خانه ارزان قیمت بسازید

صفحه ۲۲

متقاضیان باید ۲۰ درصد قیمت خانه را نقد بپردازند

خانه‌های ارزان قیمت یک تا سه اتاق خواب دارد

در صفحه ۴

پنجشنبه چهارم شهریورماه ۲۵۳۵
بیست‌ونهم شعبان ۱۳۹۶
شماره ۱۵۰۹۶ ـ تکشماره ۱۰ ریال

۴۴ صفحه

نامه مدیر سازمان کاشفان و محققان غار اصحاب کهف به روزنامه اطلاعات

اسرار تازه غار اصحاب کهف



جمجمه هایی که در غار کشف شده مورد آزمایش علمی قرار میگیرد

در صفحه ۴



صورة الصفحة الأولى لجريدة « إطلاعات » الإيرانية اليومية وهي أوسع الجرائد الإيرانية انتشاراً . وقد نشرت أنباء اكتشاف موقع الكهف



THE SEVEN SLEEPERS

by Isobel Fistere

The gentle legend of the "Seven Sleepers" is a tale known round the world, with claimants for its locale from Asia Minor to Scandanavia, from Yemen to Brittany. It is an appealing and pious legend: of ancient Syriac origin, of young Christian zealots persecuted by a pagan Roman emperor, saved from death by being put into a centuries long sleep. When they awaken, it is to a world that has meantime become Christian, but is torn by doubts about the Resurrection, and an after-life. Their miraculous appearance presented living proof of God's ability to resurrect soul and body, and caused a great revival of faith. They were fêted, canonized, and turned into living legends.

Excellent, then. A pure Christian parable of faith and devotion. But hold. The same story forms the text for one of the books of the Koran ... the Sourate XVIII. How did this happen ? How did Islam come to share the Christian parable?

The persistent legend had been passed down through the centuries by scholars of Syrica, Latin, French and Arab persuasion. The earliest Syriac version of Jacques de Saroug was translated into 6th century Latin by Gregory de Tours, introducing the story into Western Europe, and Latin legend. A 6th century canticle is still sung in an annual pilgrimage in Brittany to a "Seven Sleepers Cave," the ancient chant beginning:

"Autrefois il y avait un homme cruel, Decius, il était nommé Empereur le plus féroce le plus méchant qu'on pût trouver.
Fit une persecution martyrisant tous les Chretiens.
Qui refusèrent d'abandonner leur foi et leur croyance,"

جزء من المقال الذى نشرته إحدى المجلات الانجليزية بقلم واحد من كبار علماء الآثار الذين اهتموا بالاكتشاف وزاروا هـذا الموقع وهو المستر إيزوبيل فيستر



آراء المؤرخين والعلماء في الأردن

- الأستاذ محمود العايدي
- الأستاذ إحسان النمر
- الأستاذ الراحل رفيق الدجاني
- الشيخ محمد عادل الشريف
- الشيخ حازم أبو غزاله
- الشيخ محمد السالك الشنقيطي



آراء ثلاثة من المؤرخين فى الأردن

وعلى أثر العثور على موقع الكهف والشروع بأعمال الحفر والتنقيب اتصلنا (بادئ ذى بدء) بثلاثة من المؤرخين الأردنيين المعاصرين استطلعنا آراءهم حول هذا الموضوع وهم الأساتذة : محمود العابدى ، ورفيق الدجانى ، وإحسان النمر فتلطفوا ووافونا بالبيانات التالية وقد نشرت فى العدد (١٤ من مجلة « الشريعة » الصادر بتاريخ ٣٠-٤-١٩٦٣ وهى :

رأى الأستاذ محمود العابدى مساعد مدير دائرة الآثار الأردنية :

قال المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) : إن الرقيم بلد فى شرق الأردن بالقرب من عمان ، حيث وجدت مغارة فيها عدد من الجثث غير البالية .. وعنه أخذ السائح الهروى ، فقال فى كتابه (الإشارات إلى معرفة الزيارات) : البلقاء بلدها الكهف والرقيم عند مدينة يقال لها عمان ، بها آثار قديمة ، ذكروا أنها مدينة دقيانوس الملك . وقال ياقوت فى كتابه (معجم البلدان) : بقرب البلقاء من أطراف الشام مدخل يقال له الرقيم يزعم بعضهم أن به أهل الكهف .

ولما زار المستشرق كليرمون غانو قرية الرجيب على بعد تسعة كيلومترات للشرق الجنوبى من عمان ، وشاهد كهفها المنحوت من الصخر الأصم بصنع جميل وافق المقدسى على جعل هذا المكان هو الكهف والرقيم المذكور فى سورة الكهف من القرآن الكريم .

وقرر ابن عباس رضي الله عنه أن الرقيم اسم بلد فى طريق « إيلة » (العقبة) وهو الذى ذكره كثير عزة بقوله :

يزرن على تنائيــه يزيدا باكناف الموقــر والرقيم

والموقر قصر أموى يشرف على قرى كثيرة منها زيزياء والقسطل وسحاب والرجيب (الرقيم) . وفى سفح الجبل الواقع بين أبى علندى والرجيب صهاريج وكهوف ومغاور منها ثلاث حفرت حفراً اصطناعياً ونقشت نقشاً جميلا ولا شك فى أنها مقابر لطبقة من الناس امتازت فى حياتها إما بالثراء وإما بالجـاه وإما بالورع والتقوى . حتى ولو لم يكن هذا المكان هو الكهف المشهور فإنه لابد وأن يكون مقبرة لفتية آمنوا بربهم فزادهم هدى وأصبحوا من الأئمة الصالحين . ومن أجل ذلك بنيت عليهم مساجد فى أزمان مختلفة بقى أحدها حتى الحروب الصليبية وقد ذكره أسامة بن منقذ فى كتابه « الاعتبار » .

رأى الأستاذ إحســان النمــر الكاتب والمؤرخ المعروف :

على بعد بضعة كيلومترات جنوب عمان ، مفرق يذهب إلى قرى (أبو علندة والرجيب وسحاب) وعلى بعد ثلاثة كيلومترات أخرى ، وبين قريتى (أبو علندة) والرجيب جبل صغير فيه كهف وصهريج وبينهما شقيق والثلاثة منحوتة فى الصخر . فهذا هو الكهف فى جبل الرقيم .

زرت هذا المكان فوجدت دلائل تثبت أن الكهف هو الذى أوى إليه الفتية المؤمنون الذين لجأوا إليه محافظة على إيمانهم . والقصة مذكورة

فى سورة الكهف من القرآن الكريم ولدى الرجوع إلى تفسيرى ابن كثير والبغوى وبمقابلة ذلك مع ما شهدت تبين لى ما يلى :

أولا — إن كلمة الرجيب بدوية تعنى الرقيم لأن البدو يلفظون القاف جيما ويقلبون الميم باء فاسم البلد التى تجاور الكهف الرقيم ومعناها : الجبل الصغير القليل الارتفاع .

ثانياً — إن الكهف فى الجهة الشمالية أو فى الوجه المقابل للقبلة وقد ورد فى السورة (**وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه**) ومعلوم أن بلادنا تقع فى النصف الشمالى من الأرض . والشمس تقع فى الجهة الجنوبية من بلادنا والكهف ينال من نور الشمس وحرارتها طول النهار بعكس البناء المواجه للشمال فإنه لا ينال من الشمس إلا حين طلوعها عن يساره فقط فطلع الشمس هو يمين الكهف الموجود ويساره مغرب الشمس فتصيب الشمس الكهف طول النهار فيبقى صحيحاً فلا تؤذيهم الرطوبة .

وقد أوضحت الآية الحكمة فى عدم إضرار الشمس بهم : إن الكهف فيه فجوة لا تصلها الشمس فقد وجهت الكهف كذلك . لقد قرر المفسرون أن الكهف هو فى الناحية الشمالية — أى كوضعه الحالى — وقد ورد فى التفسيرين المذكورين : « قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة (تزاور) أى تميل وذلك أنها كلما ارتفعت فى الأفق تلقى شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شىء عند الزوال فى مثل ذلك المكان . ولهذا قال : (وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أى تدخل إلى غارهم من ناحية الشرق فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم

بمعرفة علم الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب . وبيانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل إليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور الفيء لا يميناً ولا شمالا ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه ولله الحمد » .

ثالثاً ـ من مظاهر هذا الكهف أنني وجدت فيه غرفتين عن يمين ويسار الداخل فى كل منهما ناووسان (صندوقان) من الحجر ، المجموع أربعة فى كل ناووس اثنان . وثم ناووس خارج باب الكهف ملاصق للباب فهو للكلب على الأرجح ويظهر أنهم لم يروا إبقاء الكلب فى الكهف .

رابعاً ـ إن الكهف أصله كهف عادى ثم عملت فيه يد الإنسان فزخرف وشيدت جدرانه . والظاهر أنهم حينما كشفوا أمرهم بعد ٣٠٠ سنة عنوا بالكهف فرمموه ونقشوا بابه وأتوا بهذه الصناديق فوضعوها فيه .

خامساً ـ إنهم بنوا المسجد على باب الكهف لإقامة الصلاة فى هذا المكان المبارك ولا تزال الأحجار الخاصة بالمسجد موجودة فوق باب الكهف وحول ساحته .

من هذا كله يستدل على أن هذا المكان هو مقام أولئك الفتية من المؤمنين الذين قضوا فى سبيل الثبات على الإيمان والمبدأ القويم .

رأى الأستاذ رفيق الدجانى المساعد الفنى لمدير الآثار :

يقع موقع الكهف على بعد (٩) كيلومتر للجنوب الشرقى من مدينة عمان على طريق الرجيب وللشمال من الطريق المؤدى إلى تلك القرية .

والكهف اليوم مملوء بالمدافن الحديثة والقديمة . وفى خارجه عند المدخل سرداب قسم منه نقر فى الصخر والآخر معقود من الحجارة وبه كثير من الهياكل العظمية البشرية وفوق سطح هذا الكهف آثار خرائب يعتقد بأنها مسجد لا تزال قرنته الشرقية مرتفعة لعلو ثلاثة مداميك والغربية لعلو مدماكين والحجارة كبيرة التقطيع مدقوقة ملساء يشبه طرازها الطراز البيزنطى والرومانى المتأخر . وحول هذا الموقع كثير من القبور المنقورة فى الصخر دل طرازها على أنها رومانية أو بيزنطية وحيث أنها مملوءة بالتراب فلا يمكننا الجزم من أى الفترتين هى .

وعلى بعد عدة أمتار من هذا المكان للغرب يقع كهف آخر نقرت واجهته فى الصخر على شكل قوس مستدير يرتكز طرفاه على عمودين مضلعين مقطوعين من الصخر والقوس مزخرف بحفر من أوراق الأشجار وأغصانها ويعلو القوس إطار مثلث الشكل فى وسطه شكل طير يشبه النسر باسطاً جناحيه وتحيط به النقوش المحفورة بأشكال جناحيه وتحيط به النقوش المحفورة بأشكال أوراق وأزهار الأغصان ملتوية تشبه التواء غصون دوالى العنب أو الأشجار ذوات التعريش . والإفريز

المثلث يشبه الطراز الرومانى ـ اليونانى الموجودة أمثاله على كثير من المعابد والمبانى العامة الرومانية واليونانية داخل القوس محراب مستطيل الشكل منقور فى الصخر وفوقه وحوله كتابات عربية ويونانية لم تقرأ بعد ومدخل الكهف تحت الأرض يقع أسفل القنطرة يهبط إليه من نقر مستطيل فى الصخر وبابه صغير مربع مغلق الآن ببلاطة كبيرة وحيث أنه لم يجر حفر داخل هذا الكهف فلا يعلم عن داخله شيء وستظهر الحفريات المقبلة ما يحتويه هذا الكهف فى القريب العاجل .

واختلف مؤرخو العرب المسلمون عن مكان الكهف والرقيم المذكورين فى سورة الكهف فنهم من قال : إنهما فى الأناضول وقسم رجح هذا المكان . والدلائل تشير على أن هذا المكان رومانى متأخر من نمط فن النقش والحفر كما أنه من ناحية أثرية وجود بقايا البناء فوق الكهف الذى يظن أن مدخله كان من الشرق حيث لا يزال بقايا عمود من الحجر ماثل للعيان فى تلك الجهة ، ليوحى بأنه إن كان المسجد المذكور فى سورة الكهف فيكون مدخله من الشرق كما هى الحالة فى آثار هذا البناء .

(يلاحظ أن هـــذا الحديث أدلى به الأستاذ الدجانى قبل إجراء الحفريات التى أشرف عليها بنفسه رحمه الله) .

*****

آراء علماء المسلمين فى الأردن :

أما علماء الدين فى الأردن فيكادون يجمعون على أن (الكهف) الذى تم العثور عليه واكتشافه قرب قرية الرقيم التى حرفت إلى (الرجيب) هو الكهف الوارد ذكره فى القرآن الكريم . وقد كان بعضهم يعتقد هذا الاعتقاد حتى قبل إجراء الحفريات وقد استطلعنا آراء أربعة من كبار العلماء المعروفين فوافونا بالأجوبة التالية :

رأى الشيخ محمد عادل الشريف المستشار فى دائرة قاضى القضاة ومدير دار الفقه والحديث بالأردن

من الاطلاع على التفاسير القرآنية المعتبرة تبين أن هؤلاء الفتية وكان عددهم سبعة أحداث أو ثمانية أو تسعة على خلاف وتباين فى الروايات آمنوا بربهم وزادهم الله هدى إلى هداهم . . لقد كانت قصتهم أمراً عجباً خارقاً للعادة يدل على ذلك قوله تعالى **«أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (آية ٩) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً (١٠) فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً (١١) ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا (١٢) »** ثم قال سبحانه وتعالى **« نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣)»** الآيات الكهف . . فالذى وردعنهم وجاء فى حقهم أنهم قوم من أبناء أشراف مدينة « دقيوس » ذلك الملك الكافر ويقال فيه (دقنيوس) اتبعوا دين عيسى — عليه الصلاة والسلام — ودينه هو الإسلام ، وقيل كانوا قبل عيسى — عليه السلام — وقول آخر أنهم

كانوا قبل رسالة عيسى والله أعلم . . قال ابن عباس رضى الله عنهما : (إن ملكا من الملوك « دقيانوس » ظهر على مدينة من مدن الروم يقال لها (إفسوس) وقيل هى (طرسوس) بفتح الطاء والراء وكان ذلك بعد زمن عيسى — عليه السلام — فأمر بعبادة الأصنام ودعا أهلها إلى عبادتها ، فعلم الملك بأمرهم فخافوه وهربوا ليلا ومروا براع معه كلب فتبعهم فآووا إلى الكهف فتبعهم الملك إلى باب الكهف فوجد أثر دخولهم ، ولم يجد أثر خروجهم فدخلوا عليهم ، فأعمى الله أبصارهم ، فلم يروا شيئاً ، فقال الملك آنذاك : (سدوا عليهم باب الغار حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً) فيفهم من هذه القصة أن أمر الفتية هؤلاء كان بين زمنى عيسى وسيدنا محمد — صلى الله عليه وسلم — لأن ما بين الرسالتين يقدر بنحو خمسمائة وخمسين عاماً .

إن هؤلاء الفتية سمعوا بتوعد الملك لهم فقالوا له صراحة فى وجهه (ربنا رب السموات والأرض) فرد عليهم إنكم شبان اغمار وفى رواية قال لهم : لا عقول لكم ولكنه تركهم ليتشاوروا فيما بينهم .

فهذه الآية صريحة فى الفرار بالدين وهجرة الأهل والبنين والقرابات والأصدقاء خوف الفتنة وما يلقاه من المحنة وصوناً للعقيدة التى هى حافزة للإنسان للدفاع عن وطنه وعرضه فكل ما فى الحياة عرض زائل ذاهب سوى العقيدة الراسخة الثابتة . ولقد خرج النبى — صلى الله عليه وسلم — من وطنه فاراً بدينه لا من عدوه وكذلك أصحابه ومكث فى غار ثور أياماً كل ذلك رجاء السلامة فى الدين والنجاة من فتنة الكافرين والظالمين . أما ما جاء فى تفسير (الرقيم) فى قوله تعالى : « **أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً** » الواردة فى الآية التى مرت بنا

آنفاً فهناك تفسيرات وتأويلات (للرقيم) إلى أن قالوا (الرقيم) بلدة بالروم فيها غار فيه إحدى وعشرون نفساً كأنهم ينامون على هيئة أصحاب الكهف فعلى هذا هم فتية آخرون وقع معهم ما وقع لأصحاب الكهف . وقول آخر أن الرقيم : واد دون فلسطين أى يبعد عنها بمسافة بسيطة وهذا هو **الكهف الذى بجانب قرية يقال لها الرجيب** فى عرف أهل زماننا هذا وهذا ماذهب إليه المؤرخ المقدسى . . أقول ولعلها مع قدم الزمان حرفت لفظة الرقيم إلى الرجيب أو صحفت من لفظ (الرقيم) إلى لفظ الرجيب وهـذا مع تعاقب الزمان وتطاوله والتحريف لغة والتصحيف معناهما فى الجملة التغيير وهذا ما تميل إليه النفس وذلك لإثبات حقيقة وجود الفتية مع كلبهم وآثارهم **ودلالة الفجوة فى هذا الكهف الموجود فى باطن عمان** ـ الأردن وإن كانت هناك أقوال وتقولات ومن الرجوع إلى التاريخ الإسلامى وتحرى وتقصى العالم الأثرى فى كتابه (اكتشاف أهل الكهف ـ رفيق وفا الدجانى) وقد جاء فى كتاب المؤلف نفسه ما يدحض مفتريات الآخرين وما يثبت حقيقة وجود أهل الكهف فى مكانهم هذا الذى يزوره القادمون والسائحون من كل حدب وصوب ـ قال المؤلف على ظهر كتابه طبعة بيروت ـ الطبعة الأولى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٤ قال : بالإثباتات والقرائن ، بالبينات والبراهين بالتمحيص والتحليل ، بالبحث والاستقصاء والاستنتاج يؤكد المؤلف عثوره على كهف أهل الكهف المذكورين فى القرآن الكريم ـ هذا نصه ، ومعنى ذلك أن المؤلف حفظ النصوص الواردة بهذا الشأن ومحصها ووعاها ودققها ، وأقول كما هو معروف ومشهور على ألسنة العلماء : (ومن حفظ حجة على من لم يحفظ)

ويستنتج من ذلك أن كهف القرية المعروفة بالرجيب وقد قورن هذا الكهف بكهف (إفسوس) فى آسيا الصغرى والكهوف الأخرى فقد تبينا من التفاسير والتاريخ أن مدينة (إفســـوس) الأثرية هى فى الجنوب الغربى من مدينة (أزمير) فى الأناضول على بعد ثلاثة وسبعين كيلومتراً منها وعلى مقربة من قرية تركية تدعى اليوم (أياصولوك) ترجع هذه المدينة الأثرية إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد فكهف (إفسوس) كان معبـــداً للمسيحيين وليس فيه ما يدل على ما جاء فى قصة أهل الكهف ، وآية شروق الشمس التى تزاور وتميل عن كهفهم لا تنطبق على كهف (إفسوس) وإنما تنطبق تماماً على كهف الرجيب وفى نفس الكهف دلائل وآثار تدعم ذلك وتؤيده « **قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ** » آية (١٠٤ الأنعام)

معنى (الرقيم) :

اختلف العلماء فى المقصود من هذه الكلمة (الرقيم) فمن المؤرخين والمفسرين من قال : إنها اسم جبل ، ومنهم من قال : اسم كلب ، ومنهم من قال اسم قرية على بعد فرسخ من عمان على تخوم البادية ، وذكر الثعلبى عن ابن عباس — رضى الله عنهما — أن الرقيم واد بين غطفان وإيلة دون فلسطين ، وعن سعيد بن جبير — رضى الله عنه — أنه نوع من الحجارة ، وقيل من الرصاص كتبوا فيه قصص أصحاب أهل الكهف ثم وضعوه على باب الكهف ، وقال على بن أبى طلحة : الرقيم الكتاب وعلى كل حال فإن الرقيم فى اللغة تعنى النقش والكتابة قال الله تعالى فى سورة المطففين : **(كتاب مرقوم يشهده المقربون)**

والمرقوم إذاً هو المكتوب والمنقوش ، ويروى أن الكهف الذى آوى إليه أصحاب الكهف كان منقوشاً من الداخل بالكتابات القديمة وغيرها . وإذا دخل الزائر هذا الكهف القريب بين عمان ـ الأردن وأنعم النظر فى داخله وفى جدرانه وجد تلك الكتابة على حقيقتها والله أعلم .. وهكذا جمعت هذه الأقوال عن بعض المفسرين والمؤرخين.. والله أعلم بالحقيقة والصواب .

رأى الشيخ حازم أبو غزالة رئيس جمعية دار القرآن الكريم بالأردن :

إن مما أنعم الله به علينا فى بلدنا الأردن أن يكون فيها معلم من المعالم الإسلامية التى نص عليها القرآن الكريم وكان أصحابها نموذجاً إسلامياً فى التضحية بالغالى والرخيص من أجل هذه العقيدة الغالية عقيدة التوحيد . . عقيدة « لا إله إلا الله » .

وهذا المعلم هو « كهف أصحاب الكهف » بجوار عمان وأن الزائر لهذا الكهف ليرى فيه الأوصاف كلها التى نص عليها القرآن الكريم علاوة على الروحانية البالغة التى يجدها الزائر لآثار أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى .

وإن تاريخ هؤلاء الفتية يرجع إلى القرن الثالث الميلادي حيث أن عمان كانت إحدى عواصم البيزانطيين يحكمها ملك وثنى وإنه أراد من الناس أن يعبدوا الأوثان وأن يسجدوا لها فكان ممن رفض ذلك هؤلاء الفتية الذين آثروا اتباع سيدنا عيسى بن مريم والسير على منهجه الحنيف وهذا نجده فى قوله تعالى : (**هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين**) .

إن هـذا الـكهف قريب من عمان يتمكن الهـارب أن يأوى إليه بأسرع وقت حيث أن جنود الملك كانوا يتعقبونهم وهذا شبيه بإيواء النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة هجرته إلى غار ثور القريب من مكة المـكرمة فالمسافة بين عمان والـكهف لا تزيد على ثمانية كيلومترات أى خمسة أميال . . ومن آياته :

١ – إن من آيات الله تعالى أن الشمس لا تتمكن من الدخول إلى فجوة الـكهف لا صباحاً ولا مساء حتى الآن بينما تراها تدخل إلى جوانبه ولا تصل إلى الفجوة وتلاحظ أن البرودة تهيمن على الفجوة التى هى فى آخر الـكهف إلى الآن ، وقد كانت حكمة الله تعالى من عدم دخول الشمس أن تكون الفجوة كثلاجة لحفظ أجسادهم بينما تتغذى أجسامهم من التفاعل الأحشائى كما نرى فى كثير من الحيوانات ذوات الدم البارد ، تفتر فى فصل الشتاء وتنشط فى الصيف وافهم قوله تعالى : **(وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه)** وقوله تعالى : **(ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال)**

٢ – إنك ترى صورة وجه للـكلب منحوته على جانبى وصيد الـكهف الوحيدة (أى الباب) ولا شك أن هذه الصورة لم تنحت عبثاً وإنما هى إشارة لمـا كان عليه الواقع الذى يصدقه قول الله تعالى : **(وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد)** .

٣ – إنك ترى قبورهم فتحتار أهى ستة أم سبعة أم ثمانية وهذه الآية الإلهية وهو أنه لا يعلم عددهم إلا قليل (قل ربى أعلم بعدتهم) .

٤ — ما زالت هناك قرية بجوار الكهف تسمى الرقيم (أو الرجيب باللفظ الدارج عند البدو) إشارة إلى ذلك الاختلاف فى أرقام عددهم ومدة لبثهم « قل الله أعلم بما لبثوا » .

٥ — إنك ترى المسجد الذى بناه الصالحون من اتباع سيدنا عيسى ابن مريم ما زالت قائمة إلى الآن . وهناك سبعة أعمدة ما زالت قائمة إلى الآن ولعل فى ذلك إشارة إلى عددهم « قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا » .

٦ — ومن أهم الأدلة على أن ذلك الكهف هو المذكور فى القرآن الكريم احترام الخلافة الإسلامية لهم ولذلك فإنك ترى أن بعض خلفاء المسلمين قد بنى مسجداً أمام ذلك الكهف تقديراً وتعظيما لذكرهم فى كتاب الله تعالى .

٧ — وإن المسلمين على مر العصـــور على اليقين أن ذلك الكهف فى ضاحية عمان هو كهف أصحاب الكهف كما أن كثيراً من أهل السير أشاروا إلى ذلك كالمقدسى ، وياقوت ، والهروى ، والبيرونى ، والواقدى وغيرهم ولكن عوادى الزمان سترت عنا الكهف تلك المدة من الزمان حتى أكرم الله تبارك وتعالى المسلمين قبل بضع عشرة سنة أن تنقب دائرة الآثار بتوجيه الأستاذ الفاضل الشيخ محمد تيسير ظبيان لإبراز هذا الأثر الإسلامى .

٨ — ومن أبرز الأدلة على حقيقة هذا الاكتشاف أن الناس من الأزمنة القديمة من مسيحيين ومسلمين يتباركون بدفن موتاهم بجوار

هذا الأثر الكريم وأن الزائر لهذا الكهف يرى قبور بيزنطية وإسلامية كثيرة وهذه عادة الناس من قديم الزمان أن يتباركوا بالوصية بدفنهم بجوار الصالحين .

خاتمة : وإنني لآمل وأرجو أن تتعاون وزارة الأوقاف والمقدسات في الأردن مع وزارة الآثار والسياحة لإبراز هذا المعلم الإسلامي نبراً واضحاً يزوره المسلمون من كل مكان متذكرين فيه كتاب ربهم في سورة من قرأها يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين ، ثم ليكون هولاء الفتية نموذجاً للتضحية في سبيل الله التي نرى المسلمين في هذا العصر أحوج مايكونون إليها .. وصدق الله العظيم **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن)** . وقد كان هؤلاء الفتية نموذج ذلك البيع الذي نص عليه إنجيل سيدناعيسى بن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام .

وإنني لأسأل الله أن يزيد الأستاذ المربي الفاضل محمد تيسير ظبيان نشاطاً من أجل خدمة هذا الإسلام العظيم .

رأى الشيخ محمد السالك الشنقيطى الواعظ والمدرس فى الجـامع الحسينى بالأردن :

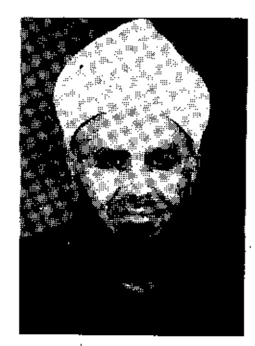
وقد تلقينا الرسالة التالية من فضيلة الشيخ محمد السالك الشنقيطى رداً على سؤال وجهناه إليه حول موضوع الكهف :

بعد السلام والتحية والإكرام .. فقد وصلنى جوابك متأخراً فى ٧ ذى الحجة وها أنا أكتب لك ما أمكننى فى الوقت الحاضر من أخبار أهل الكهف . وأما المكان الذى هم فيه فقد أخرج ابن جرير وابن حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس أن مكانهم بواد دون فلسطين قريب من إيله وأما الرقيم فقد قال كعب : إنه اسم القرية التى خرجوا منها وعليه يكون اسم الكهف والرقيم عبارة عن طائفة واحدة مع أنهم قالوا : إن الرقيم هى الصخرة أو اللوح المكتوب عليها أسماؤهم ويقال أيضاً عن ابن جبير : إنه اسم كلبهم واستشهدوا بقول أمية بن الصلت :

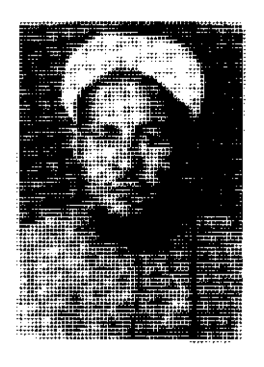
وليس بها إلا الرقيم مجاوراً

وصيدهم والقوم فى الكهف هجد

والمشهور أنهم نصارى بدليل ما أخرجه ابن عبد الرزاق وابن المنذر قال : جاء رجل من حوارى عيسى — عليه السلام — إلى مدينة أهل الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له : إن على بابها صنما لايدخلها أحد إلا سجد له فامتنع عن دخولها ودخلها من طريق آخر وعمل فى حمام وهو سبب هداية أهل الكهف قصة طويلة . (من الألوسى) ومن أغرب ما جاء فى أهل الكهف ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه قال :

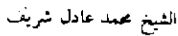


الشيخ حازم أبو غزاله



الشيخ محمد السالك الشنقيطي





الشيخ محمد عادل شريف

« أصحاب الكهف أعوان المهدى » . وذكر ابن عربى الصوفى فى فتوحاته أنهم هم وزراء المهدى وأنهم يقتلون ويستشهدون فى مرج بنى عامر إلا واحد . وقال أبو السعود فى تفسيره : إن الرقيم هو لوح من رصاص أو حجر رقمت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وأن مكانهم بين وادى غضبان وإيله دون فلسطين وأنهم من الروم اتبعوا دين عيسى عليه السلام (من القرطبي)

وقال ابن عباس : إن ملكاً يقال له دقيانوس بمدينة يقال لها إفسوس أو ترسوس وكان فى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام أمر بعبادة الأصنام ... الخ . وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال : كل القرآن أعلمه إلا أربعة : غسلين ، وحناناً ، والأواه ، والرقيم . ذكره الفخر الرازى .

مشروعات حضارية في موقع الكهف. دينية وثقافية وسياحية وعمرانية.

- ضاحية الكهف.
- المياه والكهرباء والهاتف.
- طريق الحزام الأخضر.
- إعادة اسم **الرقيم** للقرية المجاورة.

ضاحية الكهف والمشروعات المنجزة[1]

وبالنظر لأهمية هذا الموقع من النواحي الدينية والتاريخية والسياحية والأثرية وحفظاً على قدسية المكان ومكانته الروحية وإحياء لذكرى أولئك الفتية الأبرار فقد بادرت الرابطة إلى القيام بمشروع عمرانى جليل وهو إنشاء ضاحية بجوار الموقع باسم (ضاحية الكهف) وقد أقبل أعضاء الرابطة وبعض كبار الموظفين فى دائرتى الأوقاف والآثار إلى شراء بعض الأراضى فى ذلك المكان وجرى تخطيطها وتوزيعها بينهم وتم تسجيل هذه الضاحية لدى وزارة الداخلية للشئون البلدية والقروية باسم (ضاحية الكهف) وأقام رئيس الرابطة بناء خاصاً لمدرسة دار العلوم الإسلامية وهو يقع أمام موقع الكهف ، وتم ترخيص المدرسة لدى وزارة التربية والتعليم ويؤمها الطلاب من قرية الرقيم والقرى المجاورة ومن العاصمة نفسها .

الميــاه والكهرباء والهاتف :

ومن الترتيبات التى رأت الرابطة أنها ضرورية لتحسين الأوضاع فى ذلك الموقع وتوسيع الحركة العمرانية فى ضاحية (الكهف) تنظيم ضخ المياه إلى الضاحية وغرس أشجار حرجية والإسراع بإيصال النور إلى الأماكن التى تمر منها الأسلاك الكهربائية فى تلك الجهة ، فكتبت بذلك إلى السيد أمين العاصمة وقد استجاب إلى طلباتها ، وبعث بكتب رسمية مؤرخة فى ١١-٩-١٩٦٧ إلى كل من مدير عام شركة الكهرباء ورئيس سلطة المصادر الطبيعية ورئيس قسم الحدائق بلفت نظرهم إلى

---

(١) راجع بحث إعمار مسجد الكهف الجديد .

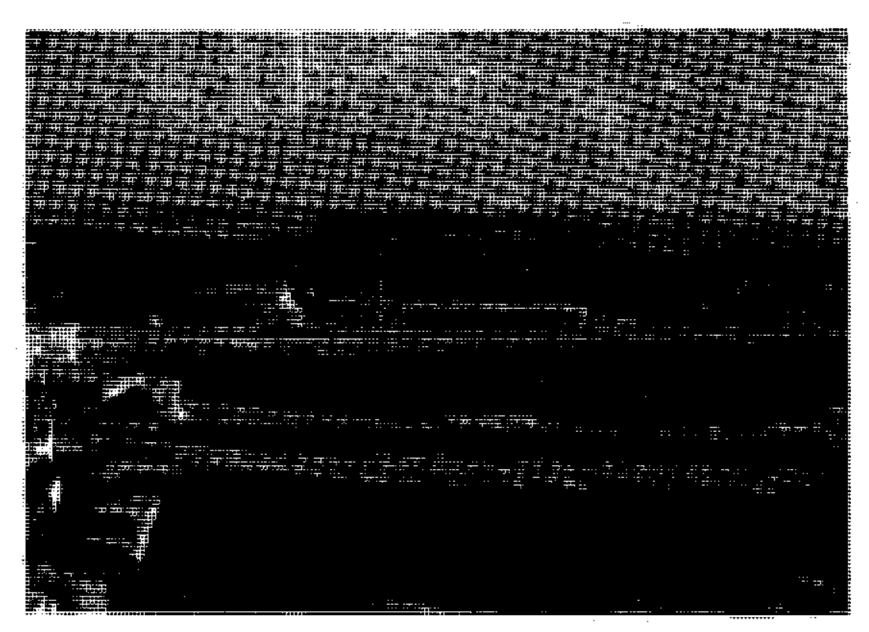
ضرورة تنفيذ الطلبات التى تقدمت بها الرابطة لتمديد الخطوط الهاتفية والكهربائية إلى تلك المنطقة ، كما غرست الأشجار الحرجية على جبل الرقيم الذى يقع فيه (الكهف) .

الحـــزام الأخضر :

ومما يجدر ذكره أن منطقة الكهف كانت فى القديم واقعة فى الطريق البرى للحجاج المسيحيين إلى بيت المقدس ، كما كانت طريق الحجاج المسلمين إلى مكة المكرمة ، وعلى مقربة منها يمر أيضاً الخط الحديدى الحجازى . ومن غرائب الاتفاق أن الحكومة الأردنية أنشأت مؤخراً طريقا رئيسياً واسعاً يصل بين الحجاز وسورية وتسلكه السيارات والباصات التى تنقل الحجاج الأتراك والسوريين واللبنانيين والعراقيين إلى الديار المقدسة . وهذا الطريق يطوق العاصمة (عمان) من جميع أطرافها ، وقد أطلق عليه اسم (الحزام الأخضر) وهو يمر من جانب الكهف تماماً .

إعـادة اسم الرقيم لبلدة الرجيب :

هذا وقد وجهت رابطة العلوم الإسلامية كتابا إلى السلطات المسئولة تطلب فيه تصحيح اسم قرية (الرجيب) وإعادة اسمها القديم إليها وهو « الرقيم » ، وقد صدرت الإرادة الملكية بالموافقـــة على ذلك . وأصدر مجلس الوزراء بلاغاً رسمياً رقم ٤٧٨ وتاريخ ٦-٢-١٩٧٧ يتضمن تغيير اسم الرجيب وإعادة اسمها القديم (الرقيم) إليها .

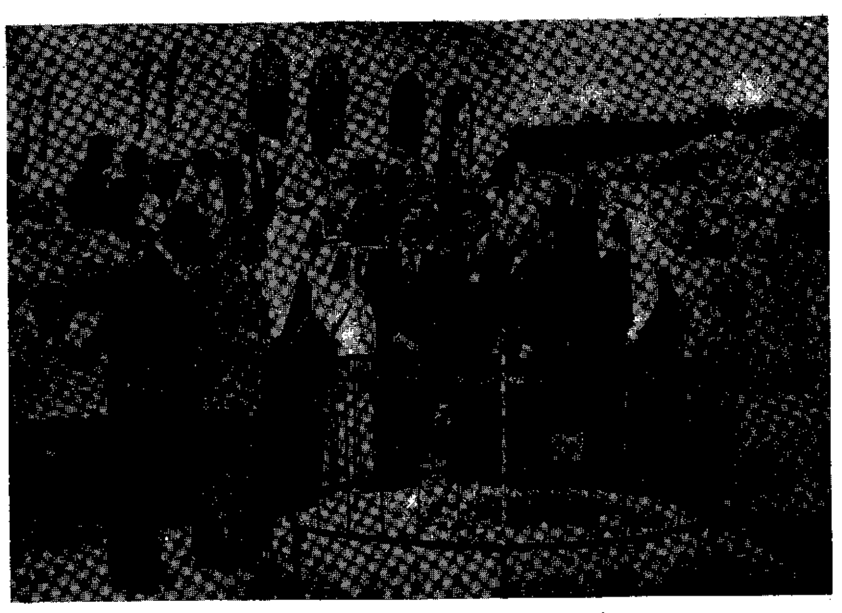


منظر عام لضاحية الكهف التقط من فوق المسجد القديم .. ويظهر فى الصورة الحزام الأخضر الذى يحيط بعمان ويتصل بالطريق الرئيسى إلى الحجاز

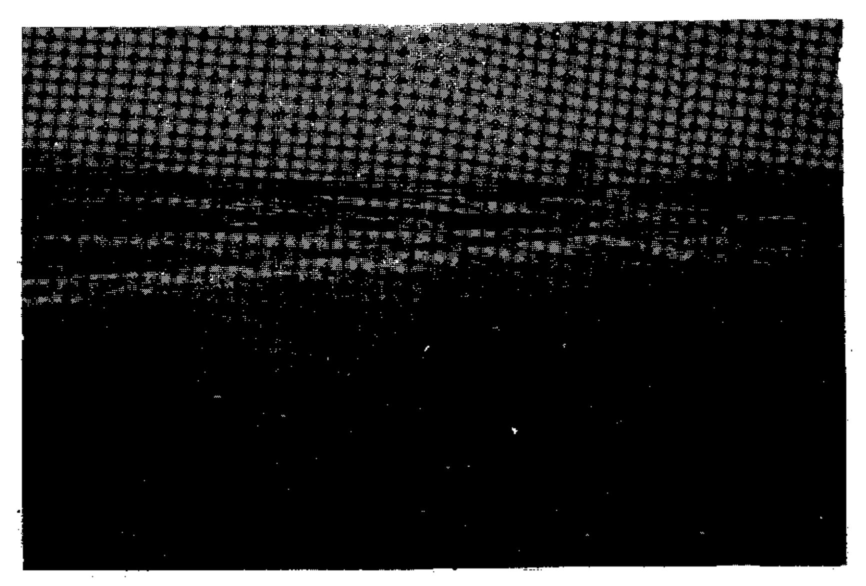


المدرج الرومانى فى عمان الذى يعتقد بأنه كانت تقدم فيه القرابين للأوثان فى عهد الملوك الطغاة . . وهو يستوعب نحو ٦٠ ألف نسمة وقد عنيت دائرة الآثار بصيانته وترميمه





وفد دولة قطر أثناء زيارته للكهف وقد وقف أعضاؤه أمام حاجز شجرة الزيتون العريقة فى القدم ويرى مؤلف الكتاب وهو يشرح للوفد تاريخ الشجرة وأسباب قطعها



منظار عام للحزام الأخضر الذى يحيط بمدينة عمان وهو فى الوقت نفسه الطريق الرئيسى لحجاج بيت الله الحرام . . وقد التقطت من قمة جبل « الرقيم » الذى يقع فى سفحه الكهف . . وقد أقيمت فى السهول التى تشاهد فى الصورة منشآت صناعية وقرى حديثة وبعض المؤسسات الحكومية



تأمـــلات

العلماء والمفكرين فى قصة أصحاب الكهف

تناول عدد من العلماء والمفكرين المعاصرين سورة الكهف ، وقصة أصحاب الكهف التى اشتملت عليها هذه السورة بالشرح المستفيض والتعليقات الهـادفة والاستنباطات السديدة الصائبة . ونثبت فيما يلى طائفة من أقوال هؤلاء السادة الأفاضل وتعليقاتهم التى أوردوها فى مؤلفاتهم أو فى الصحف والمجلات :

- السيد أبو الحسن الحسنى الندوى
- الدكتور محمد البهى
- الدكتور محمد صبحى الصالح
- الشيخ محمد المدنى
- الشيخ حسن تميم

*****



السيد أبو الحسن على الحسنى الندوى

من كبار علماء الهند

تبسط فى كتابه الذى أصدره باسم (الصراع بين الإيمان والمادية) فى موضوع سورة الكهف ، وما فيها من عجائب ، وصلتها بالعهد الأخير وما يحيق به من فتن . . وقد استهل حديثه بقوله :

من السور التى نشأت على قراءتها منذ عقلت وميزت سورة الكهف يوم الجمعة أتلوها تعبداً وثواباً كعامة الناس . . وفى دراستى للحديث النبوى الشريف رأيت حثاً على قراءة سورة الكهف وحفظها ، وأن ذلك يعصم من الدجال ، وتساءلت : هل فى هذه السورة من المعانى والحقائق والتنبيهات والزواجرما يعصم من هذه الفتنة التى استعاذ منها النبى صلى الله عليه وسلم كثيراً وحث أمته على الاستعاذة منها حثاً شديداً ، والتى هى الفتنة الكبرى الأخيرة التى قال عنها : « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال » ولماذا خص رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعرف خلق الله بكتاب الله وأسراره وعلومه هذه السورة الكريمة من بين سور القرآن ؟

ورأيت نفسى تتوق إلى معرفة سر هذا التخصيص ، والصلة المعنوية بينها وبين هذه العصمة التى أخبر بها الرسول صلى الله عليه وسلم .. ففى القرآن سور من القصار المفصل وسور من الطوال عدل عنها النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذه السورة وخصها بهذه الخاصية العظيمة ، واقتنعت إجمالا بأن هذه السورة هى السورة القرآنية الفريدة التى تحتوى على أكبر مادة وأغزرها فيما يتصل بفتن العهد الأخير التى يتزعمها

الدجال ، ويتولى كبرها ، ويحمل رايتها ، وتحتوى على أكبر مقدار من الترياق الذى يدفع سموم الدجال ويبرئ منها . وأن من يتشرب معانى هذه السورة ويمتلئ بها – وهو نتيجة الحفظ والإكثار من القراءة فى عامة الأحوال – يعتصم من هذه الفتنة المقيمة المقعدة للعالم ، ويفلت من الوقوع فى شباكها ، وإن فى هذه السورة الكريمة من التوجيهات والإرشادات ، والأمثال والحكايات ما يبين الدجال ويشخصه فى كل زمان ومكان ، وما يوضح الأساس الذى تقوم عليه فتنته ودعوته ، وتهيئ العقول والنفوس لمحاربة هذه الفتنة ومقاومتها والتمرد عليها ، وأن فيها روحاً تعارض التدجيل وزعماءه ومنهج تفكيرهم ، وخطة حياتهم فى وضوح .

ثم انتقل المؤلف بعد ذلك إلى ما انكشف له من إعجاز القـــرآن فى هذه السورة فقال : السورة خاضعة لموضوع واحد : اقتنعت بهذه الفكرة إجمالا ، وأقبلت على دراسة هذه السورة الكريمة ، كأنها سورة جديدة على ، ودخلت فى مثانيها ومضامينها وأنا أحمل هذا المصباح فوجدتنى فى عالم من المعانى والحقائق لا عهد لى من قبل ، ووجدت السورة كلها خاضعة لموضوع واحد أستطيع أن أسميه « بين الإيمان والمـــادية » أو « بين القوة المصرفة لهذا الكون (هو الله) وبين « الطبيعة أو الأسباب » ووجدت جميع الإشارات أو الحكايات ، أو المواعظ والأمثال دائرة حول هذا المعنى تشير إليه من طريق جلى أو تنظر إليه من طرف خفى .

واغتبطت بهذا الفتح ، وانكشف لى جانب جديد من إعجاز

القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فما كنت أعرف أن هذا الكتاب الذى نزل فى القرن السادس المسيحى يحمل صورة صادقة ناطقة بهذه المدنية الداجلة التى تولدت فى القرن العشرين ويصور نهايتها وأوجها وزعيمها الأعظم الذى يسميه لسان النبوة فى إعجاز وإيجاز « بالدجال » .

ثم يمضى فى بحثه فيتحدث عن شخصية الدجال فيقول :

مفتاح شخصية الدجال الذى تفتح به أغلاقها ، وتعرف به أعماقها ، وتتميز به عن سائر دعاة الشر والإفساد والكفر والإلحاد ، هو لقب « الدجال » الذى غلب عليه فهو شعاره الذى يعرف به ، والدجل والتدجيل هو القطب الذى يدور حول شخصيته ودعواته وأعماله وتصرفاته .

وقد اتسمت الحضارة المادية فى العهد الأخير بالتدجيل فى كل شيء والتلبيس على الناس ، وتسمية الأشياء بغير أسمائها ، وتمويه الحقائق وإطلاق الأسماء البراقة الخلابة للعقول على غير مسمياتها ، وبكثرة الاختلاف بين الظاهر والباطن ، والأول والآخر ، والنظريات العلمية والتجارب العملية ، وهذا شأن الشعارات والفلسفات التى حلت محل الأديان وسحرت النفوس والعقول ، والكلمات التى أحاطت بها هالات التقديس والتمجيد وحل حبها واحترامها فى قرارة النفوس ومكانتها علامة للرجعية وإنكاراً للبداهة ، والمشهود المحسوس . وقد التبس الأمر بذلك على كبار الأذكياء ونوابغ العلماء فأصبحوا يتغنون بهذه الشعارات والفلسفات ويدعون إليها فى إيمان وحماس من غير تمحيص لنية أصحابها وإخلاصهم ، أو شجاعة فى تحديد نجاحها وإحقاقها

فى مجال العمل والتطبيق ، والمقارنة الصحيحة المحايدة بين ما كسبته الإنسانية والأمم الضعيفة ، وبين ما خسرته من سلطان هذه الشعارات وتحت رايتها من السعادة الحقيقية والحقوق الفطرية .

وهذا كله من قوة التدجيل وسحره الذى يفوق فيه (الدجال الأكبر) على جميع الدجالين والمدلسين والمموهين الذين عرفهم التاريخ البشرى.

وقد سرت هذه الروح (الدجلية المدلسة) فى هذه الحضارة لسيرها على خط معارض لخط النبوة والإيمان بالآخرة والإيمان بالغيب، والإيمان بفاطر الكون وقدرته المطلقة واحترام شريعته وتعاليمه ، وللاعتماد الزائد على الحواس الظاهرة ، والشغف الزائد بما يعود على الإنسان باللذة البدنية والمنفعة العاجلة والغلبة الظاهرة وهى اليقظة التى تدور حولها سورة الكهف ، وما جاء فيها من قصص وعبر .

ثم تناول المؤلف دور المسيحية واليهودية فى توجيه المدنية إلى النواحى المادية فقال :

وقد كان مع الأسف للمسيحية المحرفة ، وهى التى قادت الحضارة فى أوروبا بعد القرون الوسطى فى العالم المتمدن ، ولليهودية الثائرة الموتورة دور متشابه رغم الخلاف الجذرى فى العقيدة فى توجيه المدنية إلى المادية الرعناء المجردة من الروح وتعاليم الأنبياء ، والتأثير فى مصير الإنسانية على حد سواء ، فقد بدأت الشعوب المسيحية التى تحررت من رق الكنيسة والبابوات، وضعفت صلتها بالمسيحية السمحة المؤسسة على التوحيد الخالص فاتجهت اتجاهاً مادياً عنيفاً أصبح يهدد العالم ومصير الإنسانية بالاكتشافات العلمية الحديثة والمخترعات المدمرة

المبيدة وفقد التوازن بين العلم والعاطفة ، والعقل والضمير ، والصناعة والأخلاق .

وقد ساهم اليهود فى العهد الأخير – بأسباب يعود بعضها إلى خصائص النسل والدم ، وبعضها إلى التعليم والتربية ، وبعضها إلى الغايات السياسية والمشاريع القومية – بأكبر قسط فى العلم والفن والاكتشاف والاختراع وفى السيطرة على هذه الحضارة وتملك زمامها وتوجيهها فى صالحهم ، والتأثير فى الأدب والتربية ، والسياسة والفلسفة ، والتجارة والصحافة ، ووسائل التوعية والإعلام حتى أصبحوا العنصر الفعال الرئيسى فى قيادة الحضارة الغربية التى ظهرت فى بيئة مسيحية ، وفى حضانة شعوب آمنت بالمسيح ، واحتضنت اسمه هذا العهد الطويل . ويبدو للناظر المتعمق فى الحوادث الأخيرة ، والمطلع على مدى نفوذ اليهودية العالمية فى المجتمع الغربى أن هذه الحضارة وما تحوى عليه من علم وفن ستبلغ نهايتها السلبية وتصل إلى ذروتها فى قوة التدمير ، والهدم والإفساد ، والتلبيس والتدجيل على أيدى اليهود الذى مكن لهم الغرب المسيحى كل تمكين ، وأتاح لهم كل فرصة لم يكونوا يحلمون بها قبل قرون ، وكان فى ذلك أكبر محنة للإنسانية وأكبر خطر على العالم فضلا عن العرب الذين يكتوون بنارهم .

لذلك نرى أن لهذه السورة اتصالا وثيقاً بالمسيحية واليهودية . . وبعد أن أورد المؤلف الآيات الأولى فى سورة الكهف استطرد قائلا :

وقد كانت السمة البارزة الثانية للحضارة التى نشأت فى حضانة المسيحيين وشبت وترعرعت تحت رعايتهم – الشغف الزائد بهذه الحياة المحدودة الفانية ، والحرص على تمديدهـــا وتزيينها ، والمبالغة

فى إجلالها وتفخيم شأنها والاتجاه إلى نفى كل ما وراءها من مثل وقيم، وخيرات ونعم ؛ والاقتصار على التنافس فى السيطرة على أسبابها وطاقاتها وذخائرها ؛ وهى النقطة التى تلتقى عليها اليهودية معها ـ رغم ما بينها من عداء وتناقض ـ فقد تجردت التوراة من ذكر عالم الآخرة والحياة الآخرة والحث على الاستعداد لها وصرف القوى والمواهب إلى نيل السعادة فيها ، وإثارة الحنين والأشواق إلى نعمائها وطيباتها ، والإشارة إلى قصر هذه الحياة الدنيا وآفاتها ، وذم حب العلو والإفساد فيها ، أو التزهيد فى زخارفها ومتاعها القليل وحطامها الزائل تجردت عن كل هذه المعانى تجرداً يثير العجب فلا عجب إذا كان تاريخ اليهود تاريخ التنافس على المـادة والتهاماً للثروة والكفاح للسيادة السلالية والكبرياء القومى . وقد تجلى ذلك بوضوح فى كل ما نسب إليهم من كتب دينية ، أو صدر عن أقلامهم وقرائحهم من أدب وشعر وقصص وملاحم ، ونبوات وكهانات ، أو أثر عنهم من بطولات ومغامرات وحروب وثورات ، أو عرف عنهم من إبداعات واختراعات ، أو عزى إليهم من أفكار وفلسفات .

ولذلك ثنى الله تبارك وتعالى الإنكار على عقيدة الشرك وعقيدة الأبنية أو الولدية التى تبنتها المسيحية ، والإنكار على عبادة هذه الحياة، والانصراف إليها عن كل ما سواها ، ونوه بقصر هذه الحياة وتداعى هذا الأساس الذى تقوم عليه فقال : **(إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لهـا لنبلوهم أيهم أحسن عملا ، وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزا)** .

وأعاد هذا الإنكار والتشنيع على عباد الحياة الدنيا ومنكرى الآخرة أو الغافلين عنها فى السورة نفسها فقال : **(قل هـــل ننبئكم**

بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) .

وهكذا أحاطت عقيدة الآخرة ، وعقيدة الإيمان بالغيب ، والإيمان بفاطر هذا الكون ، وقدرته المطلقة المسيطرة على كل شىء ، المتصرفة فى كل شىء بأول هذه السورة وآخرها ، وبجميع جوانبها وهى عقيدة نفسية وعقلية وطبيعة تأباها المـادية التى لا تعتمد إلا على الحس والمشاهدة والتجربة ، والمنفعة العاجلة ، واللذة البدنية ، والسيادة القومية أو العنصرية ، وتنتصل عنها وتحاربها بكل قوة ووسيلة ، فجاءت هذه السورة تشتمل على مادة تستأصل جذور المـادية التى قدر الله أن يكون المسيحيون أكبر مربيها ودعاتها ، والمشرفين عليها فى رحلة التاريخ الطويلة ، ثم يتولى قيادتها اليهود الذين حاربوا المسيح منذ أول عهده ، ونافسوا المسيحية فى جميع عهودها ، وعلى أيديهم تبلغ هذه المـادية ذروتها الأخيرة ، وفيهم يظهر الدجال الذى يكون أعظم بطل من أبطال الكفر والإلحاد ، والتدجيل والتلبيس ، وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تلاوة هذه السورة ، والمحافظة على أوائلها أو خواتيمها تعصم من فتنته ، وهكذا كانت بين بداية هذه السورة ونهايتها مناسبة لطيفة لا تخفى على الناظر المتأمل ، ولمجموع السورة صلة وثيقة ، عميقة بفتنة الدجال الذى يظهر فى وقته .

*****

قصص هذه السورة الأربع

لقد اشتملت هذه السورة على أربع قصص ، هى معالم هذه السورة وعمدها ، وأقطابها الأربعة التى تدور حولها حكمها ، وتعاليمها ، ومواعظها ، وهى :

١ ــ قصة أصحاب الكهف والرقيم .

٢ ــ قصة صاحب الجنتين .

٣ ــ قصة موسى والخضر (عبد الله الذى آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً) .

٤ ــ قصة ذى القرنين الذى مكنه الله فى الأرض وآتاه من كل شىء سبباً .

إن هذه القصص وإن تنوعت أساليبها وسياقها ، اتحدت فى الغرض والغاية ، والروح التى تجمع بينها ، وتربطها ربطاً معنوياً ، عميقاً وثيقاً ، وإليك شرح هذا الإجمال :

نظرتان فى هذا الكون : إن هذا الكون خاضع ــ فى غالب الأحوال ــ لأسباب طبيعية تتحكم فى العالم ، وتتصرف فيه ، وهى القوى الكونية التى تسيطر على هذا النظام ، وهى الأسباب وخواص الأشياء التى قلما تفارق هذه الأشياء وقلما تخطىء ، وفى الناس من اقتصر نظره على هذه الظواهر والأسباب الطبيعية ، واقتصر نظره على هذه الحياة ، وعلى هذا العالم المادى المحسوس ، ورأى أن المسببات والنتائج تابعة دائماً لأسبابها وعللها ، مرافقة لها لازمة ، ليس فى الوجود من يحول بين هذه الأسباب وهذه المسببات ، ويتصرف

فيها بإرادته المطلقة ، ويستطيع أن يوجد المسببات من غير أسباب ويبدعها إبداعاً ، وتعلق بهذه الأسباب ؛ وعبدها كالأرباب ، وكفر بكل قوة وراء هذه الأسباب والخواص ، وبكل قوة تسيطر على هذا العالم ؛ وتحكمه حكماً مطلقاً كلياً ، وكفر بالحياة بعدها ، وبالبعث والنشور ، وبذل جهده ومواهبه فى تسخير هذه القوى الكونية ، والأسباب والخواص ، وتسخير المادة ، وهام فى سبيلها ، وبالغ فى تمجيدها وتقديسها حتى جعلها رباً وإلهاً ، وأصبح يكفر بكل شيء سوى المادة والقوة ، حتى إذا نال منها غايته ، وسخر بعضها أو أخضع بعضها لإرادته وحاجته ، اعتقد ألوهيته ، أو أعلن ربوبيته — بلسان المقال أو بلسان الحال — واستعبد بنى جنسه ، وعاث فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم ، واستباحها لأغراضه وشهواته ، أو طموحه ، أو مجد أمته ووطنه ، أو أسرته وحزبه .

وهنالك نظرة أخرى فى هذا الكون تعارض النظرة الأولى فى الأساس والمنهج ، وهى أن وراء هذه الأسباب الطبيعية ، والقوى الكونية ، والخواص المودعة فى الأشياء ، قوة غيبية سببت لهذه المسببات ، فالإرادة الإلهية القاهرة سبب لهذه الأسباب نفسها ، تخلقها وتسيرها ، وتفكها من مسبباتها إذا شاءت فهى سبب الأسباب ، وهى علة العلل . وإليها المنتهى فى سلسلة الأسباب والعلل ، وأن خالق هذا الكون ؛ وخالق هذه الأسباب لم يفلت من يده زمام هذا الكون فى حين من الأحيان ، ولم تتحرر هذه الأسباب من رفقه وحكمه ، وهى لا تتمرد عليه ولا تستعصى ؛ ولا يعجزه شيء فى الأرض ولا فى السماء ، هو الذى ربط الأشياء بالخواص ، والمسببات بالأسباب والمقدمات بالنتائج لحكمة بالغة وإرادة قاهرة ، وهو الذى يربط ويفك ، ويثبت

ويمحو ، ويوجد الأشياء من العدم « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » .

وإن هنالك أسباباً مؤثرة أخرى تعمل فى هذا العالم ، وفى مصير الأفراد والأمم ، كالأسباب الطبيعية أو أشد ، وتتبعها نتائج قد تكون أعظم وأضخم من النتائج الطبيعية ، المادية التى تتبع أسبابها ، وهى الإيمان والعمل الصالح ، والأخلاق الفاضلة ، وطاعة الله ، والعدل والعبادة ، والرحمة ، والمحبة ، إلى غير ذلك من المعنويات ، وأسباب تعمل عكسها ، كالكفر والبغى ، والفساد فى الأرض ، والظلم والشهوات ؛ والآثام إلى غير ذلك من المعنويات أيضاً .

وإن من تمسك بالأسباب المعنوية الصالحة ــ من غير تعطيل للأسباب الطبيعية صالحه هذا الكون ، وطابت له الحياة ، وبسره الله لليسرى وخرق له ــ فى بعض الأحيان والمناسبات ــ بعض عاداته ، وأخضع له الأسباب الطبيعية ، ومن تمسك بعكسها من المعنويات والأخلاق والسلوك فى الحياة واعتمد على الأسباب الطبيعية فقط ، وأسس عليها حياته ، حاربه هذا الكون وخانته القوى التى أخضعها ، وهو أحوج ما يكون إليها وثارت عليه الطبيعة .

سورة الكهف ، قصة الصراع بين الإيمان والمادية

إن سورة الكهف قصة الصراع بين النظرتين والعقيدتين والنفسيتين ، صراع بين الإيمان بالمادة وما يتبعها ، وبين الإيمان بالغيب ، والإيمان بالله ، وشرح لما تتبع كل نظرة من العقيدة ، والعمل والأخلاق ، والنتائج والآثار ، وتحذير من اتخاذ النظرة الأولى التى تؤمن بالمادة والظاهر وتكفر بالله والغيب .

قصة أصحاب الكهف

وانظر الآن فى القصص الأربع ، وابدأ بالقصة الأولى

من هم أصحاب الكهف والرقيم ؟ ، ما هى قصتهم ؟ ، وما قيمة هذه القصة ومكانتها فى تاريخ الإنسان ؟ ، ولماذا خصها القرآن بالذكر ، حتى جعلها قصة باقية خالدة ، تتلى على اختلاف الزمان والمكان .

قصة أصحاب الكهف فى الأدب المسيحى ، والقصص الدينية :

وقبل أن نقرأ قصة أصحاب الكهف فى الأسلوب القرآنى المعجز ، المركز الهادف ، والبلاغة القرآنية التى لا حشو فيها ولا فضول ، نستعرض قصة أصحاب الكهف فى الكتب التى تقدمت ، وفى القصص التى تناقلتها الألسن ، وتوارثتها الأجيال ، ونقارن بين موافقات القصتين ومفارقاتهما .

لم ترد قصة أصحاب الكهف فى أسفار العهد العتيق ، فإنها حادثة وقعت فى فجر التاريخ المسيحى ، وبعد ما ظهرت الدعوة إلى التوحيد ورفض الأوثان ، عن طريق أتباع المسيح عليه السلام ، وبعد ما دون آخر سفر من أسفار العهد العتيق ، وليست القصة بطبيعتها — وقد تجلت فيها بطولة أتباع المسيح ، واستقامتهم — مما يحرص اليهود على حفظها ونقلها ، والتغنى بها ولكنها من أحب القصص الدينية إلى المسيحيين ، لأنها من أعم القصص غرابة ، وأشدها دلالة على صرامة أتباع المسيح الأولين ، وقوة إيمانهم ، وتفانيهم فى سبيل العقيدة والمبدأ ، وغيرتهم على تعاليم المسيحية النقية الأولى ، وهى صالحة

لإشعال الجمرة الإيمانية ، وإلهاب الغيرة الدينية ، وإثارة قوة المقاومة ، والكفاح فى نفوس المؤمنين فى كل عصر ومصر ، وهذه العناصر كلها التى تمتاز بها هذه القصة ، تضمن لبقاء هذه القصة على مدى الأعصار ، وانتشارها فى الآفاق ، وانتقالها من جيل إلى جيل ، ومن عصر إلى عصر ، فكيف فهمها المسيحيون الأولون ، وكيف رووها لمن جاء بعدهم ؟ .

جاء فى دائرة المعارف للأخلاق والديانات ما خلاصته :

« إن قصة النائمين السبعة هى من أكبر القصص التى تروى عن القديسين ، متعة عقلية ، واشتهاراً فى الآفاق ، إن عناصر القصة التى تشترك فيها أقدم الكتب كما يلى :

إن امبراطور « ديسيس » **Decius** يدخل فى المدينة اليونانية القديمة « افيسيس » ويجدد فيها تقليد عبادة الأوثان ويأمر أهل المدينة والمسيحيين بصفة خاصة بتقديم الذبائح والقرابين لها ، وأقلع عدد من المسيحيين عن عقيدتهم النصرانية ، وبقى عدد منهم متمسكين بدياناتهم ، محتملين لاضطهاد رجال الحكومة ، وتعذيبهم . وهنا يقدم إلى الامبراطور سبعة من الشباب (وتقول بعض الروايات : إنهم كانوا ثمانية) وكانوا مقيمين فى السراى ، وقد اختلف فى أسمائهم وقد اتهموا باعتناق النصرانية سراً ؛ وهم يرفضون تقديم القرابين إلى الأوثان ، ويمهلهم الامبراطور لمدة طمعاً فى أن يرجعوا إلى صوابهم ، ويتوبوا عن النصرانية ، ويخرج من المدينة .

وفى خلال هذه المدة يغادر هؤلاء الشباب المدينة ، ويأوون إلى كهف فى جبل قريب كان يسمى بـ **Anchilus** ويخرج أحدهم اسمه

Diomedes أو Imblicus متنكراً وفى ثياب متوسخة مرقعة إلى البلد ، ليتعرف الأخبار ويشترى الطعام ، ولا يمضى على ذلك كثير حتى يرجع « ديسيس » إلى المدينة ، ويأمر بأن يقدم إليه الشباب ، ويخبر Diomedes زملاءه بهذا الأمر السلطانى ، فيتناولون الطعام ، وقد استولى عليهم الحزن والقلق ، ثم يستغرقون فى نوم عميق طويل يسلطه الله عليهم ، ولما لم يهتد الامبراطور إلى هؤلاء الشباب ، طلب آباءهم فأبدوا براءتهم عن هذا التهرب ، وأن تكون لهم يد فى هذه المؤامرة ، وأخبروه بأنهم مستترون فى جبل Anchius وهنا يأمر الامبراطور بأن يسد مدخل هذا الكهف بحجارة كبيرة ، فيموتوا هناك حتف أنوفهم ، ويبقوا موءودين فى هذه المغارة ، ويكتب مسيحيان ، أحدهما Theodore والآخر Rufinus قصة هؤلاء الشهداء الشباب على لوحة من معدن ، ويدفنانها تحت الحجارة التى سد بها الغار .

وبعد أن مضى عليهم ثلاث مائة وسبع سنوات فى عهد امبراطور ثيودوسيس الثانى Theodosius تقوم ثورة يقودها بعض المسيحيين ، وتنكر جماعة منهم على رأسهم القس ثيودر Theodore عقيدة بعث الأموات ، وإمكان حشر الأجساد ، فيفزع ذلك الامبراطور المسيحى ويشغل باله ، وهنا يلهم الله ملاكاً اسمه Adolius أن يبنى زريبة لغنمه فى الميدان الذى يقع فيه هذا الكهف ، ويستخدم البناؤون لبناء هذه الزريبة الحجارة التى سد بها هذا الغار ، وهكذا ينكشف هذا الكهف ، ويوقظ الله هؤلاء الشباب فى هذه الساعة ، فيخطر ببالهم أنهم ناموا ليلة ، ويتواصون بأن يموتوا شهداء على يد « دسيس » إذا ألجأتهم الضرورة ، ويذهب أحدهم وهو Diomedes إلى المدينة كالعادة ، ويقف حائراً أمام الصليب المنقوش على رتاج المدينة ، حتى يضطر

إلى أن يسأل أحد السابلة ، هل هى مدينة أفسيس حقاً ؟ ويصبح تواقاً
إلى إخبار زملائه بهذا الانقلاب العظيم ، ولكنه يملك عاطفته ويشترى
الطعام ، ويقدم فى ثمنه النقود التى كان يحملها ، وهى العملة التى
كان يتعاطاها الناس فى عهد ديسيس ، ويعتقد صاحب الدكان ، وأهل
السوق أن الشاب قد عثر على ركاز قديم ، ويريدون أن يكون لهم
نصيب فيه ، ويهددون الشاب ويخوفونه ، ويقودونه من بين وسط
المدينة وأسواقها ، ويتألب عليه الناس ، ويبحث الشاب فى هذا الجمع
الحاشد عن رجل يعرفه ؛ فلا يجده ، ويستخبره الأسقف حاكم البلد
عن شأنه ، فيخبره بالقصة بطولها ، ويدعوهم إلى أن يرافقوه إلى
الكهف ، ويزوروا زملاءه الآخرين ، فيرتقون قمة الجبل ، وهناك
يجدون لوحتين رصاصيتين تصدقان قصة الشاب ، فيدخلون الكهف
ويجدون زملاءه أحياء ، يغشى وجوههم النور والسكينة ، وينمى
الخبر إلى الامبراطور Theodosies فيزور الكهف ، وهنا يقول له
Moximilian أو Achillides أو شاب آخر : إن الله سبحانه وتعالى
قد سلط عليهم النوم ليبرهن على الحشر والنشر ، ثم أيقظهم قبل أن
تقوم القيامة ، وبعد ذلك مات الشباب موتهم الأخير ، وقد بنى
هيكل رومى فى تذكارهم .

أما مكانة هذه القصة التاريخية ، فلا يشك كبار المؤرخين والناقدين
للأساطير الشائعة فى صحتها وإمكان وقوعها لشهرتها واستفاضتها فى
العالم المسيحى ، وتناقل الأجيال والكتب لها ، يقول « جبون »
الذى يجنح دائماً إلى تزييف مثل هذه الأخبار الغريبة :

« إن هذه القصة الغريبة لا يمكن أن تحمل على مجرد خرافة الأغريق

ومغالاتهم الدينية فقد اتصلت الروايات الموثوق بها وتسلسلت إلى خمسين سنة بعد وقوع هذه المعجزة (المفروضة) وقد خصص قس سورى ولد بعد الإمبراطور ثيودوسيس الأصغر بسنتين اسمه James of Sarus رواية من رواياته التى يبلغ عددها إلى مائتين وثلاثين لمدح شبان أفسيس (أصحاب الكهف) وقبل أن ينقضى القرن السادس المسيحى نقلت قصة أصحاب الكهف هذه من اللغة السورية إلى اللغة اللاتينية بعنـــاية غريغورى وقد حفظت ذكرى أصحاب الكهف فى اجتماعات العشاء الربانى فى الشرق المسيحى بإجلال واحترام ، ودونت أسماؤهم باحترام بالغ فى الأعياد الرومية والتقويم الروسى ، ولم تقتصر شهرتهم فى العالم المسيحى فحسب .

أما عدد الأعوام التى قضوها فى المنام فهو يتراوح بين ثلاث مائة سنة ، كما نقله المفسرون المسلمون عن المسيحيين ، وثلاث مائة وسبع سنين (كما جاء فى مقالة دائرة المعارف للأخلاق والديانات) أما التفاوت بين ثلاث مائة سنين وثلاث مائة سنين وتسع سنوات كما جاء فى القرآن ، فقد حمله المفسرون والمتقدمون على التفاوت بين التقويم الشمسى والقمرى ، قال ابن كثير : وهذا خبر من الله تعالى لرسول صـــلى الله عليه وسلم بمقدار ما لبث أصحاب الكهف فى كهفهم ، منذ أرقدهم إلى أن بعثهم الله ، وأعثر عليهم أهل ذلك الزمان ، وأنه كان مقداره ثلاث مائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية ، وهى ثلاث مائة سنة بالشمسية ، فلهذا قال بعد الثلاث مائة : « وازدادوا تسعاً » .

ويستشكل على ما جاء فى مقال دائرة المعارف الذى نقلناه .

وكتاب جبون ، على ما شاع على ألسنة الناس ، ونقل فى أكثر كتب التفسير والتاريخ من اختفاء أصحاب الكهف ولجوئهم إلى كهفهم كان فى عهد ديسيس الامبراطور الرومانى الذى يسميه المؤرخون العرب وعلماء المسلمين والعامة بدقيانوس وأنه كان نتيجة اضطهاده للعقيدة المسيحية ، وقسوته التى اشتهر بها فى التاريخ ، وأن ظهور أمرهم والعثور عليهم كان فى عهد ثيودوسيس الثانى الامبراطور المسيحي المؤمن ، يستشكل على كل هذا أن الفترة بين عهدهما لا تزيد على مائتى سنةعلى الأكثر [1] ، وعلى هذا الأساس تهكم « إدوارجبون » بالعدد الذى جاء فى القرآن فى تحديد مدة نومهم ، والتجأ بعض المفسرين القدامى ، وبعض المفسرين العصريين ، — تفادياً من هذا الإشكال — إلى أن ما جاء فى القرآن ، إنما هو حكاية قول أهل الكتاب ، ومن ضمن مرائهم وتخرصاتهم ، ومتصل بالكلام السابق ، وهو قوله تعالى : (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) إلى آخر ما حكى عنهم من الجدال والاختلاف ، ونسب ذلك إلى قتادة ، ومطرف بن عبد الله ، وروى فيه قراءة شاذة : (وقالوا ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين) (قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض) . قالوا فلو كان ذلك تقريراً من الله لمـــا عقب عليه بهذا التفويض إلى علم الله ، ونقل هذا التفسير عن ابن عباس أيضاً ، ولـكن قال العلامة الألوسى « ولعل هذا لا يصح عن الحبر رضى الله عنه ، فقد صح عنه القول بعدة أصحاب الكهف سبعة وثامنهم كلبهم مع أنه تعالى عقب القول بذلك بقوله سبحانه ، : (قل ربى أعلم بعدتهم) ولا فرق بينه وبين

(١) لقد برهنت الحفريات الأثرية أنهم كانوا فى عصر تراجان لا فى عهد (دقيانوس) والفترة بين عهده وعهد ثيودوسيوس تطابق الفترة التى جاء ذكرها فى القرآن الكريم .

قوله تعالى : (قل الله أعلم بما لبثوا) ، فلم دل هذا على الرد ، ولم يدل ذاك ؟ .

ورده بعض كبار العلماء ، وقالوا : إن الذوق العربى السليم يأباه ، ولا يتبادر إليه ذهن القارىء ، إذا لم يكن مطلعاً على هذا التأويل والتفصيل ؛ قال الإمام الرازى : وأما قوله « سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم » فهو كلام قد تقدم ؛ وقد تخلل بينه وبين هذه الآية ما يوجب انقطاع أحدهما عن الآخر وهو قوله : « فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً » وقوله: « قل الله أعلم بما لبثوا؛ له غيب السموات والأرض » ، لا يوجب أن ما قبله حكاية ، وذلك لأنه تعالى أراد بقوله: «قل الله أعلم بما لبثوا ، له غيب السموات والأرض» أى فارجعوا إلى خبر الله دون ما يقوله أهل الكتاب . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : إن بعض المفسرين زعموا أن هـذا قول بعض أهل الكتاب لقوله تعالى « الله أعلم بما لبثوا » وليس كذلك فإن الله لم يذكر هذا عن أهل الكتاب ، بل ذكره كلاماً منه تعالى .

إن مصدر هذا الإشكال والتناقض المفروض بين العدد الذى يقرره القرآن ، وبين العدد الذى يقرره « جبون » والذى يبنى على استعراض التاريخ الرومانى ، هو ما اشتهر من أن حادثة اختفاء الفتية ولجوئهم إلى الكهف قد وقعت فى عهد « ديسيس » الذى حكم بين سبتمبر سنة ٢٤٩ م ويونيو ٢٥١ م ولعل الذى جعله بطل هذه القصة ما اشتهر عنه من قسوة ومن سفك للدماء ، واضطهاد عام للمسيحيين وإجبار على تقديم الذبائح والقرابين الدينية أمام رجال الحكومة المعينين ، والأمر بالحصول على الشهادات منهم ، ولكن الذى يشكك فى تعيين هذا الامبراطور ليكون مسؤولا عن هذه الحادثة ، وبطل القصة ،

هو أن مدة حكمه كانت قصيرة ، جداً ، لا تبلغ سنتين ، وأنه قضى أكثر هذه المدة فى الحروب مع القوط ، وقد مات قتيلا بأيديهم على شاطئ نهر « الراين » فى فرنسا ، ومن المحتمل أن يكون قد وجد فرصة للقيام بجولة فى المدن الشرقية اليونانية التابعة لمملكته العظيمة الواسعة ، ولم يذكر التاريخ له رحلة إلى بلاد الإغريق ، والمملكة الشرقية ، وقد جاء فى تاريخ المؤرخين للعالم ، أن مدة « ديسيس » كانت قصيرة جداً وهادئة ، ولم يكن يتولى الحكم حتى اضطر إلى التوجه إلى « كال » لقمع ثورة قامت هناك ، وانقضت مدة حكمه كلها فى الحروب مع القوط . وقد ذكر المؤرخون أسماء أولئك القادة المسيحيين الذين عاقبهم الامبراطور على عدم خضوعهم لمرسومه ، ولم يذكروا فيه أصحاب الكهف ، ولم يكن عدد الذين عوقبوا من المسيحيين كبيراً ، فقد ذكر « جبون » نفسه أن عدد المعاقبين والمعذبين لم يتجاوز عشرة رجال وسبع نساء .

ثم إن حادثة اختفاء رهط من المسيحيين حادثة محلية لم تكن من الأهمية فى وقت حدوثها بمكان يلفت إليه أنظار المؤرخين ، ويحرص على تدوين تاريخها المؤلفون بخلاف يقظتهم من هذا النوم الطويل الخارق للعادة ، وخروجهم إلى البلد ، وانتشار صيتهم فى الآفاق ، وبعد أن تدوى الأوساط الدينية بخبرهم ، فوقوع هذه الحادثة الثانية ؛ حادثة انتباههم من النوم ، وانتشار خبرهم فى العالم المسيحى فى عهد ثيودوسس من الحوادث المستفيضة المدوية فى الآفاق الشاغلة للنوادى والمحافل ، التى يحرص المؤرخون على تدوينها وتسجيلها ، ويتنافس النقلة والرواة فى نقلها وحكايتها ، فنرجح أن حادثة الاضطهاد والاختفاء وقعت فى عهد الإمبراطور هادرين الذى حكم طويلا ، ويذكر التاريخ أنه قام

بجولة فى الولايات الشرقية ، دامت من ١٢٩م إلى ١٣٤م ، ولا يلزم أن هذا الاضطهاد قد وقع على يده مباشرة أو بإيعاز منه ، ولا يلزم كذلك أن يكون قد علم به وارتضـــاه ، فقد اتسعت الامبراطورية الرومية فى ذلك العهد اتساعاً كبيراً ، وانتشر الولاة والحكام فى ولاياتها ومدنها ، فمن المعقول جداً أن يقوم أى حاكم أو وال بعملية اضطهاد دينى أو مطاردة دينية وفقاً لاتجاهه الخاص وحماسه الدينى ، أو تطبيقاً لسياسة الدولة العامة إزاء الديانة الحديثة وتتخطى فى ذلك الحدود ، وهذا يقع فى كل حكومة وعهـــد ، فإذا قررنا أن اضطهادهم واختفاءهم كان فى أثناء هذه الجولة ، وظهورهم فى عهد ثيودوسس لم يكن هناك تفاوت كبير بين عدد المسيحيين وعدد القرآن ، ولم يكن هناك أساس لتهكم «جبون» فإن بداية هذه القصة ونهايتها لا تعرفان بالتحديد الزمنى الدقيق ، وقد اضطربت أقوال المؤرخين السوريين ، والمؤرخين الإغريق فى تعيين سنة اليقظة والخروج ، فالمؤرخون السوريون يزعمون أنها ٤٢٥ م أو ٤٣٧ م وتقول الروايات الإغريقية : إن الخـــروج كان فى السنة الثامنة والثلاثين من حكم «ثيودوسس» الثانى معنى ذلك أنها كانت فى سنة ٤٤٦ ، ونؤمن بأن القرآن الذى جاء مهيمناً على الكتب السابقة ، أحق فى التعويل والاعتماد من هذه الروايات المضطربة ، والأساطير والمصادر ، التى كانت عرضة للتغيير والزيادة وقد ظهر الاضطهاد الدينى للمسيحية فى شكل سافر من عهد نيرون (٦٤ م) ، واستمر إلى أن كانت المسيحية ديانة أباطرة الروم بشكل عام ، واعتنق قسطنطين النصرانية فى القرن الرابع المسيحى ، ولا يزال تاريخ المسيحية الأول يكتنفه الشيء الكثير من الغموض لغرابتها وضعفها ، ويعوزه التدوين التاريخى الذى يعتمد عليه .

وطبيعة اختفاء جماعة قليلة العدد فى مدينة صغيرة لم تحتل المكانة الأولى المرموقة ، فى المملكة ، تختلف اختلافاً كبيراً عن الظهور الذى اقترن به عناصر الغرابة الكثيرة فى عهد ملك يدين بديانتهم ، ويقدر هذا الحادث على تقدير فى زمن أصبحت فيه عقيدة الحشر والنشر ، والحيـــاة بعد الموت موضوع جدال عنيف ، ونقاش كبير ، واشتدت الحاجة فيه إلى برهان ساطع على إمكانه ووقوعه ، فنهاية هذه القصة وتحديد العهد الذى انتبه فيه أصحاب الكهف واشتهر أمرهم ، لا يقبل شكاً ولا مراء ، فقد عرفت الطبيعة البشرية بالحرص على الاحتفاظ بمثل هذه الحوادث الجسام وتتبعها ، وتتواتر الدواعى الدينية والعاطفية ، والعقلية على تحقيقها وتسجيلها للأجيال القادمة بخلاف بداية هذه الرواية ، ومقدمة هذه الحادثة ، والله أعلم بحقيقة الحـــال .

حكمة اختيـــار القرآن لهذه القصة :

تمسك المفسرون فى سبب ورود هذه القصة الغريبة فى القرآن ، بما رواه محمد بن إسحاق عن بعث قريش وفد منهم إلى أحبار يهود بالمدينة وسؤاله إياهم عن أسئلة يختبرون بها صدق النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، واتصاله بالسماء ، فاختاروا لهم أسئلة فيها سؤال عن أصحاب الكهف ، وهذه الرواية إن صحت ، فليست هى السبب الرئيسى ، والسبب الوحيد لاختيار القرآن لهذه القصة ، من بين قصص الاضطهاد الكثيرة ، والقصص العربية التى لا سبيل إلى معرفتها ، والإخبار بحقيقتها إلا الوحى ، وأن قصص أسباب النزول وإن أفاض فيها المفسرون وعنى بها العلماء المتقدمون العناية الكبيرة لا تحتل

المكانة التى أحلها فيها كثير من العلماء ، وقد كان فى مقاصد الإصلاح والتعليم التى جاء لتحقيقها القرآن ، وفى البيئة الفاسدة الموبوءة التى بعث فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، نزل فيها القرآن ، وفى طبيعة البشرية التى لا تختلف اختلافاً كثيراً ، وفى الأزمان والبيئات التى تتوالى وتتجدد ، والحوادث التى تتعاقب وتتكرر ، وفى الأجيال البشرية التى سيخاطبها القرآن ، وتقودها النبوة المحمدية على اختلاف الأعصار والأمصار ، كان فى كل ذلك دواع أقوى وأحق بالاستجابة ، وأسباب أظهر وأجدى بالاهتمام من سؤال طائفة أو امتحان جماعة ، ومن قصة يرويها بعض الرواة فى سبب نزول آية أو سورة ، يعجبنى فى ذلك ما قاله شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولى الله الدهلوى ، فى كتابه الفريد « الفوز الكبير » فى أصول التفسير ، قال رحمه الله :

« وعامة المفسرين يربطون كل آية من آيات المخاصمة وآيات الأحكام بقصة ، ويعتقدون أن تلك القصة كانت سبب نزولها ، والمحقق أن الغاية الأساسية من نزول القرآن هى تهذيب النفوس البشرية ، والقضاء على العقائد الباطلة ، والأعمال الفاسدة ، فوجود العقائد الباطلة فى المكلفين سبب مستقل لنزول آيات المخاصمة ، ووجود الأعمال الفاسدة وانتشار المظالم فيما بينهم سبب كاف لنزول آيات الأحكام وعدم انتباههم وازدجارهم بما جاء فى القرآن من ذكر آلاء الله ، وأيام الله ، وما يقع عند الموت وبعده ، علة حقيقية لنزول آيات التذكير . أما القصص الجزئية ، والحكايات المعينة التى أتعب المفسرون نفوسهم فى نقلها ، وأطالوا النفس فى ذكرها والحديث عليها ، فليس لها دخل كبير ، ولا أهمية ذات بال ، إلا فى بعض

الآيات ، حيث وقع التعريض فيها لحادثة من الحوادث وجدت فى زمنه صلى الله عليه وسلم ، أو قبل ذلك ، ولا يزال ما يعرض للسامع من التشوف عند سماع ذلك التعريض إلا ببسط هذه القصة .

وقد جاءت هذه القصة فى أوانها ومكانها ، فقد كان المسلمون فى مكة يواجهون نفس الأوضاع التى واجهها الفتية فى أوج الاضطهاد والاستبداد فى عهد القياصرة ، وكانوا يعيشون فى فترة تشبه الفترة التى عاش فيها الفتية المؤمنون قبل أن يغادروا البلد ، ويلجأوا إلى الكهف ، ولا تصوير أبلغ من تصوير القرآن ، (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض ، تخافون أن يتخطفكم الناس) ، ودواوين الحديث ، وكتب السيرة تفيض بقصص الظلم والقسوة ، والتعذيب والتنكيل ، وتحكى من أخبار محنة بلال ، وعمار ، وخباب ، ومصعب ، وسمية وأصحابهم ما تقشعر منه الأبدان ويشمئز منه الوجدان ، ويصور القرآن والسيرة الجو الرهيب الخانق ، الذى أحاط بالمسلمين فى مكة ، الجو الذى لا تظهر فيه بارقة أمل ؛ ولا يتفتح فيه منفذ يدخل منه النور والهواء ، فكأنهم كانوا بين طبقى الرحى ، وفى براثن الأسد الضارى ؛ ولا تعبير أدق من التعبير القرآنى : (حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) . هنالك ينزل الوحى ، ويقص عليهم القرآن قصص الفرج بعد الشدة ، واليسر بعد العسر ، والعزة بعد الذل ، ونزول نصر الله من فوق سبع سموات خارقاً للعادة ، مكذباً لكل قياس ، هادماً لكل تجربة ، متحدياً لكل عقل ، كيف أجار الله قلة مؤمنة ، وحفنة من البشر ، مجردة من كل قوة وسلاح ، من الكثرة الكاثرة ، الكافرة الفاجرة ، الظالمة الغاشمة ، المالكة للحول والطول ، المستحوذة على

القوى والطاقات ، والذخائر والوسائل ، وكيف أخرج الحى من الميت ، والميت من الحى ، وأطلع النور من الظلمة ، وجعل من الأعداء القاتلين الذين ولغوا فى الدماء ، وأكلوا الأكباد ، حماة حارسين ، وآباء مربين ، وكيف ورث الابن المؤمن الأب الكافر .

شبه بين الممتحنين فى مكة وأصحاب الكهف :

فقص الله فى هذه الفترة الرهيبة ، التى يستولى فيها اليأس والتشاؤم ، وتزيغ فيها الأبصار ، وتبلغ القلوب الحناجر ، قصة يوسف مع إخوته ، وقصة موسى مع فرعون ، وهى قصة فرد وجماعة ، وقصة نبي وأمة ، وقص عليهم قصة أصحاب الكهف مع الملك الجبار . والسلطان الطاغية ؛ وهى قصص تختلف عصورها وبيئاتها وتختلف فيها الأشخاص الذين تدور حولهم القصة وتتفق فى غايتها ، وتتشابه فى نهايتها ، وتتفق على نقطة واحدة ، وهى الإرادة القاهرة ، التى تنصر المؤمن على الكافر ، والبر على الفاجر ، والمظلوم على الظالم ، والضعيف على القوى ، والفقير على الغنى ، بطرق تحار منها الألباب ، وتشده بها العقول ، يؤمن بها الكافر ، ويوقن بها المتشكك ، فيقول فى آخر قصة يوسف : (**لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون**) ، وقال فى آخر سورة هود (**وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين**) .

وما أشبه المسلمين فى مكة بالفتية المؤمنين الذين لجأوا إلى الكهف فراراً بدينهم من الفتن ، فبقوا فيه إلى أن قلب الله الليل والنهار ،

وانقرضت الدولة الكافرة المضطهدة لأهل الإيمان والعقيدة ، وطوى بساطها ، وجاء على عرش روما - الذى اقترن قروناً طوالا بالحكم الوثنى المشترك ، والملك العضوض الفاجر - من يحمى ديانة المسيح ودعوته ، ويفتخر بالنسبة إليها ، وحمل رايتها ، ويقدر كل من أبلى فيها بلاء حسناً ، ويحيطه بهالة من الإجلال والتكريم ، والحب والتعظيم ، وكذلك عاش المسلمون فى مكة ماعاشوا ، متمسكين بدينهم ، كأنهم قابضون على الجمر ، واقفون على الرضف حتى جاء الفرج ؛ وأذن لهم بالهجرة ، فرجعوا إلى حصن حصين ، وكهف متين ، هى مدينة يثرب ، ولكن الله أراد بهم أكثر مما أراد بالفتية المؤمنين ، اللاجئين إلى الكهف فى القرن الثانى المسيحى ، أراد أن يظهر بهم دينه على الدين كله . (**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) وقرن البعثة المحمدية - وهى الرسالة الأخيرة التى ختمت بها الرسالات - ببعثة أمة ، فقال : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**) ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم « إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين » ، فلم يكن يجدر بهذه القلة المؤمنة كهف ضيق محدود يبقون فيه بعيدين عن الحياة ، عاجزين عن كل نشاط ، وعليهم تقوم الدعوة ويتوقف مستقبل الإنسانية ، وهم ملح الأرض - فى لغة المسيح عليه السلام - والبذرة التى ينبت بها الزرع الكريم ؛ الذى فيه حياة الإنسانية ، وقيام الناس ، فهى أكرم على الله من أن تضيع ، وقيام بعد اليقظة ، وتنطوى فى العزلة ، فهى تدعو إلى دين الله ، وتكافح الباطل وتقاومه ، وتجتهد لترفع الظلم عن الإنسانية

كلها ، ولتكون كلمة الله هى العليا ، **(حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)** .

وقد خرج رائد « أصحاب الكهف » فوجد الناس غير الناس ، والمدينة غير المدينة ، والدين غير الدين . . وجد دينه هو الذى يحكم ويسود ، وعقيدته هى التى تكرم وتشرف ، وكذلك لما خرج المهاجرون من المدينة إلى مكة استقبلتهم بغير الوجه الذى كانت تستقبلهم به ، وإذا براية الإسلام تخفق وتعلو ، ومفتاح الكعبة بيد الرسول صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء ، وإذا بالناس يدخلون فى دين الله أفواجاً ، وإذا بالإسلام هو مصدر كل شرف وكرامة ، وإذا بالوثنية هى موضع كل ذل وإهانة ، وإذا بطرداء الأمس هم سادة الناس ، وأساتذة الخلق فى كل شىء ، فما أشبه قصة أصحاب الكهف بقصة أهل مكة المؤمنين ، والفتية المهاجرين مع فرق يسير ، اقتضته طبيعة الإسلام وحاجة الإنسانية .

التاريخ يعيد نفسه مرة بعد مرة :

وقد كتب الله لهذا الدين الخلود ، ولهذه الأمة البقاء ، والانتشار فى العالم ، فاستلزم ذلك أن تمر بجميع المراحل التى مرت بها أمم كثيرة فى عهود كثيرة ، وأن تواجه دعوتها جميع المراحل الطبيعية التى تحتوى عليها الحياة الإنسانية ، من ضعف وقوة ، وقلة وكثرة ، وفتح وهزيمة ، وموافقة ومعارضة ، وكثيراً ما تتعرض جماعات تقوم بالدعوة وتستقيم على العقيدة لاضطهاد فظيع ، وتعذيب وتنكيل ، ونفى وتشريد ، وقد يكون ذلك فى ظل حكومات كافرة ، وقد يكون ذلك فى ظل حكومات تتسمى بالإسلام ، ويقودها رجال ينطقون

بكلمة التوحيد ، ويبنون المساجد ، ويقيمون الموالد والمهرجانات الدينية، ويحتفلون بالأعياد الإسلامية ، والشعائر الدينية ، ولكنهم أحياناً يعتبرون الدعوة الإسلامية ، والعقيدة الصحيحة أكثر خطراً وأعظم ضرراً على كيانهم ومقاصدهم من الدعوات الجاهلية ، والخرافات الوثنية ، والأفكار الهدامة والفلسفات الملحدة ؛ فتعود قصة الكهف فى أرض الإسلام من جديد ، ويبدأ الصراع بين القلة المؤمنة الضعيفة والكثرة « المنافقة » القوية ، وهنالك يجد هؤلاء الفتية روحاً ونوراً فى قصة أصحاب الكهف (**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططا**) . وقد تشتد هذه الحال ، ويضيق الخناق ، ويستحيل الجمع بين الحياة والحرية ، وبين الإيمان والعقيدة ، فلا تبقى للمسلمين حيلة إلا الفرار من المجتمع ، واللجوء إلى العزلة ، وتلك حالة لا تعرض إلا فى أحقاب متطاولة ، وأزمات نادرة ، ولكن لسان النبوة قد أنبأ بذلك ، لأن النبوة المحمدية ، هى نبوة الأزمان كلها ، وهى المرشدة فى الأحوال كلها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يوشك أن يكون خير مال المسلم غنما يتبع به شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن » ، وهنالك تغيثه سورة الكهف ، وتنير له الطريق .

والآن ، استعرض قصة أصحاب الكهف فى ضوء القرآن وفى إطار قصصى واسع تلمس فيه الحياة ، وتستوحى منه العبرة والعظات .

دولة الوثنية والخلاعة :

فى مدينة من المدن الرومية الكبرى – إذا شئت سميتها إفسس أو إفسوس – فى فجر التاريخ المسيحى ، بلغت المادية ، وما يتبعها من الوثنية السافرة ، والأبيقورية الوقحة أوجها وزهوها، وقد شهد التاريخ بأن الوثنية تقترن بها الخلاعة والشهوانية دائماً ، كأن بينهما عهداً وحلفاً ، كذلك كان فى الهند القديمة كما دلت الآثار والحفريات ، وكذلك كان فى يونان ومصر ، وجزيرة العرب فى الجاهلية ؛ واستهترت الحكومة ورجالها فى عبادة الأصنام ، وعبادة الشهوات ، وعبادة المادة والقوة ، وانطلقت موجة عنيفة من الوثنية والشهوانية ، جرفت كل القيم الروحية والخلقية ، وأصبح المجتمع – فى هذه العاصمة مجتمعاً مادياً محضاً ، لا يدين إلا بالمظاهر والمحسوسات ، ولا يؤمن إلا باللذات العاجلة ، والمنافع الحاضرة ، واستولت الحكومة – بطبيعة الحال – على جميع وسائل المعيشة والرفاهة فى حدود المملكة ، وأصبحت مصدر الرخاء والثراء ، والمجد والشرف ، وأصبح اتباع عقيدتها واتجاهها ، وتقليد رجالها ، القنطرة الوحيدة للوصول إلى الحكم والغنى ، والمجد والشرف ، والتف حولها « الانتهازيون » وأصحاب الطموح من كل جانب ، وأصبح الناس طرازاً واحداً ، أو قطعة واحدة ، من عبادة الشهوات ، وعشاق المناصب والوظائف وهواة الإقطاعات والولايات .

وألحت الحكومة ، وأسرفت فى تطبيق عقيدتها وفرض اتجاهها على أهل البلاد ، وتتبعت كل من يخالفها فى دين الوثنية ؛ واتجاه

الإباحية ، والتمتع بالحياة ، فحرمته نعمة الحياة ، وسلبته حقوقه المدنية ، فأصبحت الحياة فى هذه البلاد أسلوباً واحداً ، وصبغة واحدة من الخرافة والخلاعة ، لا يحتمل اختلافاً فى اللون ، أو تنوعاً فى العقيدة والأخلاق ، وأصبح الناس على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم ، وأعمارهم ومدارك عقولهم نسخة واحدة من كتاب مطبوع فى مطبعة متقنة .

ثوار مؤمنون :

فى هذه الدولة الوثنية الجائرة ، وفى هذا المجتمع المتهتك الخليع ، وفى هذا المحيط الضيق المطبق ، وفى هذا الجو القاتم الخانق ، وجد رهط من الناس تسربت إليهم دعوة المسيح – عليه السلام – فصادفت منهم عقولا واعية ، وقلوباً خاشعة ، وضمائر حية ، ففتحتها وملكتها ، وشغلت من نفوسهم كل مكان ، ومن قلوبهم وتفكيرهم كل جانب ، وأصبحت لهم إيماناً وعقيدة ، ولذة وقوة ، وبداهة ويقيناً ، فأصبحوا لا يعيشون بغيرها ، ولا يبيعونها بأكبر ثمن فى العالم ، ولو كان هذا الثمن نفوسهم وحياتهم .

ومن هنا بدأ الصراع ، بدأ ذلك فى نفوسهم أولا ، ثم فى الخارج ثانياً ، وكذلك الصراع يبدأ دائماً فى النفوس ، لقد اتجهوا اتجاهاً معارضاً للحكومة والمجتمع ، فالحكومة وثنية ، لا تقبل إلا الوثنية ، والمجتمع خليع لا يرضى إلا بالخلاعة ، ولا حياة – فضلا عن الحكم والغنى – إلا بالحكومة والمجتمع ، إن فلسفة الأسباب والمسببات ، وإن دراسة المدنية والمجتمع ، وإن واقع الحياة ، كل ذلك يفرض عليهم أن

يخضعوا للحكومة والمجتمع ، فلا شبع من غير طعام ، ولا طعام من غير مال ، ولا مال إلا عند الحكومة ، ولا شرف ولا سمعة إلا بالجاه ، ولا جاه إلا بالوظيفة ، ولا وظيفة إلا عنـــد الحكومة ، ولا هدوء ولا سلامة إلا بمسايرة الناس وموافقة المجتمع ، ولا موافقة إلا باتباع العقيدة السائدة والاتجاه العام !!! هذا هو المنطق المـادى يقوم على المشاهدة والتجربة ، وهذه طبيعة الأشياء .

ولكنهم يعارضون هذا المنطق « السليم » كما يسميه أنصاره ، ويستوحون إيمانهم وعقيدتهم ؛ فتجاوز نظرتهم النافذة المشهود الموجود ، ويتمثل أمامهم ما وراء هذا المشهود ، فيرون أن وراء هذه الأسباب التى استولت عليها الحكومات واستحوذ عليها المجتمع سبباً آخر ، وهو الإرادة الإلهية التى خلقت هذه الأسباب ، وهى التى تسيرها من وراء الستار ، فمن أيدته هذه الإرادة القاهرة ، لم تؤثر فيه هذه الأسباب وأربابها ، ولم يحتج إلى أصحابها ، وسخر الله له الأحوال والأوضاع ، وجعلها مطابقة لحالته وحاجته ؛ وهيأ له من أمره رشداً ومرفقاً ، وآتاه من لدنه رحمة ونعمة ، فلا حاجة إلى الخضوع إلى الأسباب الظاهرة ، والاستكانة إلى أصحابه الضعفاء الفقراء ، ولابد من الثبات على العقيدة .

وهنا ينتصر الإيمـــان على التفكير المـادى ، ويغلب المنطق الإيمانى ، وذلك هو موضع الاعتبار فى القصة ، ومفتاحها الحقيقى :
(إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى . وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً . هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) .

ولـكن ما هو السبيل إلى البقاء على العقيدة ، وقد ضاقت الأرض على أهل الإيمان بما رحبت ، وجعلت الحكومة البلاد عليهم كفة حابل ، وسدت فى وجوههم أبواب الرزق والحياة ، فإما حياة من غير عقيدة وخلق ، وإما عقيدة من غير حياة وحرية .

وهنالك يسعفهم الإيمان ، وينير لهم الطريق ، ويقنعهم بأن فى أرض الله سعة ، وفى نصرة الله ثقة ، وأنهم ليسوا مضطرين — بعد ما تخلوا عن اللذات والمطامع — إلى البقاء فى هذه القرية الظالم أهلها ، وجرى على لسانهم : (**وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لـكم ربكم من رحمته ويهيئ لـكم من أمركم مرفقاً**) .

منهج الصواب فى حياة الانسحاب :

لقد كان لهم أن يهيموا فى أرض الله على وجوههم ، ويمضى كل أحد منهم لسبيله ، أو يأوى كل فرد منهم إلى مغارة أرض ، أو قمة جبل ، كما فعل المسيحيون فى عصر رهبتهم وانحطاطهم ، ولـكن الله ألهمهم أن يخرجوا مجتمعين ، فارين بدينهم وعقيدتهم ، لاجئين إلى الله ، منتظرين منه الفرج القريب ، والنصر المبين ، وهذا هو منهج الصواب ، والطريق الأقوم ، كلما ضاقت على أهل الإيمان الأرض ، وانسدت فى وجوههم الأبواب ، وأشرف إيمانهم ودينهم على خطر وضياع .

جائزة الإيمان والفتوة والفرار إلى الله :

ثم ماذا كان ؟ لقد حققوا فيهم صفة الإيمان والفتوة ، وهما الصفتان الأساسيتان فى دستور النصرة الإلهية ، والتأييد الربانى : (**إنهم فتية**

آمنوا بربهم) ، فحقق الله لهم جميع مواعيده : وعد الزيادة فى الهداية ، ووعد التثبيت ، **(وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم)** ، وما أحوج المؤمن المهاجر ، الثائر على مجتمعه وبيئته ، الثائر على القوة القاهرة والحكم المطلق إلى الهداية والتثبيت ، وإلى أن يربط الله على قلبه الخفاق ، ونفسه المضطربة ، وقد أنجز الله وعده فى هؤلاء الفتية الكرام ، فزادهم هدى ، وربط على قلوبهم ، وأخرج منها الجبن والخوف ، والحيرة والاضطراب ، وملأها شجاعة وسكينة ، وقوة ويقيناً ، وفرحاً وسروراً ، ورضاً بالله وأفعاله ، وذلك زاد المهاجر فى سبيل الله ، وسلاح المجاهد فى سبيل الله ، الثائر على عصره ، المتمرد على بيئته .

ثم ماذا كان ؟ لقد خرجوا من البلد ، تاركين المدينة وزخارفها وراءهم ، نابذين أسباب الحياة ، قد غادروا وطنهم العزيز ومساكنهم الكريمة — فالظاهر أنهم كانوا من بيوت رفيعة ، ومحتد كريم — فكان جزاء ذلك ، أن هداهم الله إلى كهف واسع صحى ، ولا تستطيع المنظمات الكبيرة أن تبنى مثل هذه الكهوف ، والملاجئ الواسعة النظيفة الصحية ، فكان شأنه أن يستفيد من منافع الشمس ، وهو النور والدفء — ويسلم من مضارها ، وهى الحرارة الزائدة ، ويدخله الهواء النقى فيضفى على أهله الحياة والنشاط : **(وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه)** .

وهكذا انقطعت صلتهم عن المدنية الدنسة المتعفنة وعن أصحابها الغاشمين الفاسقين ، واتصلت بأسباب الحياة البريئة ، والعالم النقى الخارجى

فكانوا يعيشون فى عزلة عن العالم ، متمتعين بخيراته ومنافعه ، وليس ذلك إلا جزاء الإيمان الراسخ والجهاد الصادق ، ومن تيسير الله وحده وهدايته (**ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد**) .

لقد حاول الثائرون على نواميس الله وشرائعه ، وعلى الطبيعة ، وبذلوا جهدهم ومواهبهم ، وعلومهم وذكاءهم فى الحصول على حياة رخية ، صافية هنيئة ، وسخروا لأنفسهم القوى الكونية ، وأخضعوا لهم أسباب الراحة والرخاء ، وهناء البال ، فحرموا النتيجة ، وثارت عليهم الحياة والطبيعة ، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وأصبحوا فريسة اكتشافاتهم ووسائلهم ، وفريسة الأمراض الوبيلة ، والمشاكل الغريبة ، والحروب المدمرة ، (**ومن يضلل الله فلن تجد له ولياً مرشداً**) .

الحيــاة فى كهف الإيمان :

ويظهر أنهم لم يقضوا حياتهم فى هذا الكهف الإيمانى فى بطالة وتعطل ، ولم يكونوا هنالك فى ظلام وعمى ، ومن غير دستور وهداية ؛ والظاهر أنهم أخذوا معهم بعض الصحف والأوراق المكتوبة ، ولعلها صحائف من التوراة والإنجيل ، وأثارة من علوم الأنبياء وتعاليمهم ؛ احتفظوا بها عند خروجهم من المدينة ، وليكن ذلك دستور جميع الثائرين على بيئتهم ومجتمعهم المهاجرين اللاجئين ، المضطرين إلى الفرار والعزلة ، إذا كان لابد من الفرار والعزلة .

ولمــا نفد زادهم الذى حملوه ، سلط الله عليهم نوماً هنيئاً ، عميقاً طويلا ، لم يحتاجوا معه إلى طعام وشراب ، (**فضربنــا على آذانهم فى الـكهف سنين عدداً**) .

تغير الأوضـــاع فى روما :

وهنا تظهر المعجزة الكبرى من معجزات قصة أصحاب الكهف ، ففى مدة نومهم ، واعتزالهم فى الكهف ، تغيرت الأوضاع فى البلد ؛ فى مملـكة روما وتوابعها ، فانقرضت دولة الوثنية والخلاعة ، وطوى رجالهـا وأصحابها فى تقلبات الزمان ، وقامت على أنقاض هذه الدولة الوثنية ، الخليعة ، دولة تؤمن بالله ، وبالمسيح ، وتنتصر للدين الجديد الذى حاربته الحكومة المـاضية طويلا ، وطاردت أتباعه ورجاله ، وتجل كل من انتمى إلى هذا الدين وترحب بكل من يدين بهذه العقيدة .

وهنالك يبعث أصحاب الـكهف من رقدتهم الطويلة التى استغرقت ثلاثة قرون وزيادة (**ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً**) ويتساءلون بينهم عن مدة هذا النوم ، فيختلفون فى التقدير والتحديد ، ثم يكلون أمره إلى الله ، لأنه ليس من مهمات الدين والدنيا (**قال قائل منهم كم لبثتم ، قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم**) .

وحينئذ يشعرون بالجوع ، فينتدبون أحدهم ليأتى لهم بطعام زكى ، ويرسلونه مع النقود الفضية التى حملوها من مدينتهم ؛ (**فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه**) ويوصونه بالاحتراس من فشو السر وبالتلطف ، لأنهم لا يزالون يعتقدون أن الدولة للأعداء ، وأن شرطة الحكومة ، ورجال المخابرات بالمرصاد (**وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً ، إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا إذاً أبداً**) .

ولقد تسامع أهل البلد بقصة اضطهاد فتية مؤمنين فى دولة الوثنيين الفجار ، وسمعوا ما جرى لهم ، وكيف غادروا وطنهم واختفوا عن الأنظار ؛ وانقطع أثرهم ، وقد قامت الدولة المسيحية الفتاة ، تحيي آثار النصرانية المضطهدة وتجدد معالمها ، وتحيي ذكرى أبطالها وشهدائها ، وتفكر فى تخليد ذكرهم وبناء تذكارهم ، وفى مقدمة هؤلاء الأبطال « أصحاب الكهف والرقيم » .

طرداء الأمس أبطال اليوم :

وكانت « قصة أصحاب الكهف » حديث البلد ، إذ خرج رائدهم متستراً ، متلطفاً ، خائفاً يترقب ، يبحث عن طعام لذيذ ، ويرجع به سريعاً إلى أصحابه ، ويقنع من الغنيمة بالإياب ، فإذا هو بغية البلد ، وإذا هو وأصحابه الذين تتغنى البلاد ــ حكومة وشعباً ــ بمجدهم وجهادهم ، وبطولتهم .

يعثر عليه ــ عن طريق العملة القديمة التى كان يحملها ، أو اللهجة التى كان يتكلم بها ، أو الزى الذى كان يلبسه ، فالقرآن لا يعنى بهذه التفاصيل التى هى موضوع الرواية ، إلا الهداية ــ ويشيع الخبر فى البلد ، وأنحاء المملكة ، ويصبح الشغل الشاغل للناس ، ويقبل الناس زرافات ووحداناً إلى هذا الكهف الذى آواهم ، ويسعدون بزيارتهم ، ويمسك القرآن ــ على عادته ــ عن ذكر تفاصيل احتفاء الناس بهم ؛ وإجلالهم وتقديرهم لهم ، ولكنه يقول فى قوة وتأكيد : **(وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها)** . فقد كان الانقلاب الذى حدث فى الحكومة والشعب ، وعثور الناس عليهم بعد هذه الغيبة الطويلة إنجازاً لوعده فى رفع

منارهم ، وتخليد آثارهم ، وقهر عدوهم ، ودليلا على أن الله يقلب الليل والنهار (**وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور**) . . وهل كان يرجى أن تزول هذه الدولة القاهرة ، وتنهض المسيحية المقهورة ، ويخرج أصحاب الكهف بعد هذه المدة الطويلة من كهف يشبه المقبرة الواسعة ، فتحيط بهم هالة التقديس والإكبار ، وتفتح لهم الدولة ذراعيها ، ويبسط لهم البلد أحضانه ، ويوطئ لهم أكنافه ؟! أليس فى ذلك عبرة لسادة قريش وعظماء مكة ، وتسلية للمسلمين المستضعفين ؟

ومكثوا ما شاء الله أن يمكثوا ؛ ثم وافاهم الأجل المحتوم ، فأصبحوا فى محبيهم ، والمعجبين بهم موضوع خلاف ونزاع ، وذهب الناس فيهم مذاهب ، وذلك فى أسلوب تخليد ذكرهم وبناء تذكارهم ، (**إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً**) .

ولم يقتصر الأمر على الاحتفاء بشأنهم فى عصرهم ، والحرص على تخليد ذكرهم ، بل أصبح هؤلاء من رجال التاريخ والديانة ، الذين ظل الناس يختلفون فيهم ويتباحثون ، وتتكون مذاهب وطوائف ، لكل أنصار (**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً**) .

انتصار الإيمان على المادية :

وهكذا تنتهى هذه القصة الخالدة الأولى من قصص سورة الكهف

الأربع ، قصة الصراع بين الإيمان والمادية ، أو قصة الصراع بين الاعتماد على الأسباب ، وبين الاعتماد على خالق الأسباب ، تنتهى بانتصار الإيمان على المادية ، وصدق الاعتماد على خالق الأسباب .

لقد آثر الفتية المؤمنون الإيمان على المادة ، وآثروا الآجل على أن يعيشوا أغنياء أو أمراء وهم كافرون،وآثروا أن يعيشوا بعيداً عن الوطن والأقارب والأحباب ، لا حظ لهم فى متعة الحياة ، ولذة العيش ، وعز الحكومة ، على أن يشركوا بالله ، ويرضوا شهواتهم ، ويتعاونوا على الإثم والعدوان ، لقد فروا من مقتضى النفس إلى مقتضى الروح ، ومن مقتضى العقل إلى مقتضى الإيمان ، فتحقق أنهم كانوا أعمق عقلا وأبعد نظراً ، وأن العاقبة للمتقين ، لقد فروا من الأسباب إلى خالق الأسباب ، فلم ينتقلوا من هذا العالم ، حتى خضعت لهم الأسباب ، وخضعت لهم حكومة فروا من خوفها وعقابها بالأمس .

وقصة « أصحاب الكهف والرقيم » هى قصة الإيمان والفتوة والثبات ، والتضحية والجهاد ، التى تتكرر فى تاريخ الإنسانية ، وفى تاريخ الحق والعقيدة ، وبرهان على أن الأسباب خاضعة للإرادة الإلهية صديقة للإيمان والعمل الصالح . . فسبيل المؤمن أن يستميل هذه الإرادة بالإيمان والعمل الصالح ويستحق نصر الله وتأييده .

وقبل أن يبدأ القرآن بالقصة الثانية وهى قصة صاحب الجنتين ، يوصى النبى صلى الله عليه وسلم ، بالتمسك بحبل الله ، والتمسك بالسبب الأكبر الأقوى ، أو العروة الوثقى ، وهو سبيل الإيمان وسبيل القرآن ، ويوصيه بلزوم أولئك المؤمنين الذين سعدوا بالإيمان والمعرفة واليقين ، والذكر والدعاء ، وإن كان حظهم قليلا من الأسباب ، من متع

الدنيا وزخارفها ، ويوصيه بمجانبة أولئك الجهال الغافلين الذين حرموا الإيمان والمعرفة واليقين ، وما يتبع ذلك من الذكر والدعاء ، وملكوا مقداراً كبيراً من الأسباب والقوى والخيرات ، وإنما هي وصية عامة لقراء القرآن وأتباعه ، والمؤمنين به ، بل هم أحوج إلى تنفيذها والعمل بها (**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**) .

لقد كانت هذه خطة أصحاب الكهف وأصحاب الإيمان والمعرفة فى كل عصر ، وهى إيثار الإيمان والعمل الصالح ، والصلة الروحية بالله على المظاهر والظواهر ، والأسباب والقوى ، والتمرد على المادة وأصحابها ، والاستهانة بزخارف الدنيا ومتعها ، وهى دعوة سورة الكهف ، ودعوة القرآن (**ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خير وأبقى**) .
وسورة الكهف تدور حول هذه النقطة ، وتشير إليها بكل مناسبة .

تقديس المادة ورجالها فى الحضارة الداجلة :

وقد عارضت الحضارة المادية ـ وصورتها المكبرة الواضحة فى المدنية الداجلة العصرية ـ هذه الروح ، وهذا الاتجاه بخط مستقيم ، فقد قامت على تقديس المادة ورجالها ، وإجلالهم والخضوع لهم ، وقد لهجت فلسفتها وأدبها ـ بجميع أنواعه من شعر ونثر ، ورواية وصحافة ، وتمثيل وتاريخ ـ بإطراء أصحاب رؤوس الأموال ؛ وأصحاب الملايين ، وأصحاب النفوذ المادى ، والسيطرة السياسية أو الاقتصادية ، وذهبت إلى تأليههم ، وحثت على تقليدهم ، والتمثل بهم .

الغلو والتطرف سمة هذه الحضارة :

لا أجمل في وصف هذه الحضارة المتهورة ، ووصف صاحبها الذى يتشبع بروحها، ويحسن تمثيلها من قوله تعالى : (**ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً**) وقد أصبح الإسراف والغلو والتطرف سمة لهذه الحضارة وشعاراً تعرف به ، ويعرف به صاحبها ، إسراف فى التكسب والإنتاج ، وإسراف فى التلهى والتسلية ، وإسراف فى البذل .

*****

الدكتور محمد البهى

من أعلام الفكر الإسلامى فى مصر

قال فى كتابه : (التفسير الموضوعى للقرآن الكريم) .

إن قصة أهل الكهف تصور هذا التأييد من الله لمجموعة من الشبان المؤمنين بحمايتهم من بطش الحاكم الظالم ، بعد أن قضوا فى مواجهة حكمه معلنين ومؤكدين وحدة الألوهية ، رغم أن الوثنية تشد هذا الحاكم إليها ، كما يؤمن بها الكثير من قومه .

ثم تناول المؤلف قصة أصحاب الكهف فقال :

وقصتهم أنهم مجموعة من الشبان المؤمنين بالله إيماناً قوياً .. يقال : إنهم من المسيحيين ـ واجهوا بإيمانهم القوى حاكماً وثنياً وطاغياً لا يعرف الله إطلاقاً ، ويقال : إنه من حكام الرومان وثبتوا على إيمانهم فى مواجهتهم له ، وطلبوا من الله وقايتهم من ظلمه وطغيانه فكان إيواؤهم إلى الكهف مئات من السنين ، حتى تبدل الحكم وذهب الطغيان ، وحل محله مناصرة الإيمان بالله ، فأيقظهم الله من نومهم فى الكهف ، وشاع أمرهم بين الناس . وانتهى شأنهم بموتهم بعد عودتهم إلى الكهف وتخليد الناس لمكانتهم بإقامة مكان للعبادة عليه : **(أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً) .** إنه من الآيات العجيبة لله ما وقع لأصحاب الكهف الذى تميز بأمارة خاصة به يعرفه بها الناس **(إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً)** . فقد توجهت جماعة من الشبان الذين يؤمنون بالله هاربة إلى الكهف داعين إياه أن يقيهم

فيه برعايته من ملك ظالم لايرضى عنهم ، وأن يديم عليهم هذا الإيمان حتى يكون لهم النور الذى يرشدهم إلى الطريق السوى فى الحيـــاة **(فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عدداً)** فاستجاب الله لدعائهم وقطع عنهم ضجيج الحياة الخارجية وهم بالـكهف أعواماً طويلة وأمنهم بذلك من وصول يد الظالم إليهم **(ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لمـا لبثوا أمداً)** . وبعد هذه السنين الطوال وهم نيام فى الكهف أيقظهم الله سبحانه من نومهم ليتجلى فضل الله عليهم . وهم قطعاً سيتفاوتون فيما بينهم فى تقدير هذا الفضل . . إذ التفاوت فى التقدير ظاهرة بشرية لا تتخلف ، وتفاوتهم فى تقدير فضل الله يعود إلى تفاوتهم فى تقدير المدة التى عاشوها فى الكهف . . فكلما كان تقديرها أقرب إلى واقعها استبان فضل الله فى حمايتهم من طغيان الحاكم الوثنى الذى فروا من طغيانه إلى الكهف .

وبعد إجمال القصة تعود السورة فتفصل بعض حلقاتهـــا : **(نحن نقص عليك نبأهم بالحق)** والخطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليأخذ منها العبرة ولتسجل فى القرآن كآية على رسالته . والحق الذى ستقصه السورة هو واقع القصة كما كانت : **(إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى)** وأهل الكهف هم مجموعة من الشبان أعلنوا إيمانهم بالله وحده،وزادت هدايتهم بما آمنوا به : **(وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا : ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهـــاً لقد قلنا إذن شططاً)** وثبتوا على هذا الإيمان ، وتجلى ثباتهم عليه يوم أن قاموا مواجهين قومهم والحاكم الوثنى عليهم وأعلنوا أن الله واحد لا شريك له ، وأنه رب الكل فى السموات والأرض وأنهم

لن يحيدوا إطلاقاً عن إيمانهم بوحدة الألوهية ولن يشاركوا قومهم فى وثنيتهم ، لأنهم لو فعلوا ذلك لا نحرفوا انحرافاً شديداً فى حياتهم :
(هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين ، فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً) فقومنا يشركون مع الله آلهة أخرى لا حجة لهم عليها ، وبذلك يفترون على الله كذباً ، فهم ظالمون لأنفسهم ، وظالمون عندما يقولون على الله قولا لا دليل لهم على صحته : **(وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً)** ولم يكن أمام هؤلاء الشبان المؤمنين فى مواجهة الطغيان والوثنية المادية إلا أن يعتزلوا قومهم وحاكمهم ويلجأوا إلى مغارة يقيهم الله فيها من البطش والإرهاب ويحفظوا عليهم إيمانهم بالله وحده ، وتكون لهم مأمناً ومساعداً فى الوقت نفسه :
(وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين ، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم فى فجوة منه ، ذلك من آيات الله ، من يهد الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً) .
وفى الكهف أو فى المغارة كان وضعهم فيه يجنبهم حرارة الشمس عند الشروق أو الغروب ، فمنذ الطلوع كانت تميل عنهم إلى اليمين ، وعند الغروب كانت تتجاوزهم إلى الشمال وتلك أمارة من أمارات رضاء الله عنهم ، كما أن هدايتهم إلى الإيمان كانت بمشيئة الله وإرادته ، وبقاء قومهم وحاكمهم فى الضلال والحيرة والوثنية المادية ليس بمعزل كذلك عن هذه الإرادة الإلهية ، وفى الوقت نفسه لا يجد من ضل طريق الهداية عوناً يرشده إلى الخروج من ضلاله : **(وتحسبهم أيقاظاً وهم**

رقود ، ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال ، وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً)

ويظن من يراهم فى كهفهم أنهم أيقاظ لأنهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال فى وضعهم ، ولأن كلبهم باق فى مدخل الكهف وباسط فيه ذراعيه الأماميتين ، مع أنهم نيام ، ويشاء الله — حماية لهم — أن يصد عنهم كل من يحاول الإطلاع عليهم فيسارع توآ إلى الفرار وتمتلئ نفسه رعباً منهم : (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم ، قال قائل منهم : كم لبثتم ؟ قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، قالوا : ربكم أعلم بما لبثتم) ثم يشاء الله أن يوقظهم من نومهم ، وأن يعودوا إلى حياتهم اليومية فابتدؤوا هذه الحياة بسؤال بعضهم بعضاً عن مدة نومهم ، واختلفوا فى تقدير هذه المدة حتى قال قائل منهم : إنها لا تتجاوز اليوم أو بعض اليوم . واختلاف الناس فى التقدير كاختلاف أهل الكهف هنا فى مدة نومهم التى اشتركوا فيها جميعاً يدل على أن الناس لا يصلون إلى علم موحد فى أمر ما رغم إحساسهم المشترك ورغم عدم اختلاف الظروف التى عاشوها معاً . ولذا كان لابد للبشرية من هداية موحدة هى هداية الله وحده . ولأن أهل الكهف اختلفوا فى تقدير الزمن الذى آثروا أخيراً أن يتركوا تقديره لله سبحانه ، وأن ينتقلوا إلى قضية أخرى يعالجونها فى حياتهم اليومية التى عادوا إليها ، وهى قضية الطعام والسعى إلى تحصيله : (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ، ولا يشعرن بكم أحداً . إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم فى ملتهم ، ولن تفلحوا إذن أبداً) واستقر رأيهم على أن يذهب واحد منهم إلى

المدينة ومعه بعض النقود من الفضة المضروبة فى ذلك العهد الذى واجهوا فيه تحدى الحاكم الوثنى وقومه الوثنيين الماديين ، ومن أجل الوقاية من طغيانه أرشدهم الله إلى اللجوء إلى الكهف ، وأن يتخير شراء بعض الأطعمة لأكلهم . وقد أوصوه أن يكون لطيفاً فى المعاملة ، وألا يكشف إطلاقاً عن أمرهم ، لأن الكشف عن أمرهم سيعرضهم حتما إلى الحرج كما ظنوا وتصوروا . لأنهم ما زالوا يظنون حتى هذه اللحظة أن نومهم فى الكهف لم يستغرق أجيالا من البشر حتى تغير وضع المجتمع ، كما هو الواقع فعلا الآن . فهم بعد أن عادوا إلى حياتهم اليومية من نومهم الذى كان مسيطراً عليهم ظنوا أن الوضع الذى هربوا منه لم يزل قائماً . ومن هنا كانت وصيتهم لرسولهم الذى أرسلوه لإحضار الطعام ، والحرج الذى سيتعرضون له إن علم أمرهم — كما ظنوا — هو أحد أمرين : إما حملهم على العودة إلى الوثنية وهى دين آبائهم ، وإما قتلهم رجماً انتقاماً منهم . وعلى أية حال لا تستطيع قلتهم أن تنجح فى مقاومة هذه الكثرة حتى لقومهم : **(وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها)** ولكن يشاء الله أن ينكشف أمرهم عن طريق النقد الذى كان معهم والذى أرسلوا به ليشتروا طعاماً لهم ، فقد ضرب فى عهد الطاغية الوثنى . والآن عهد ملك مؤمن . وبانكشاف الأمر يعلم أهل الكهف أن وعد الله بحمايتهم وإنجائهم من الطغيان والتحدى الوثنى كان حقاً ، كما يعلم الناس جميعاً أن البعث أمر لا مرية فيه ، وأن قيام الساعة حقيقة لا شك فيها :**(إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا ،**

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربى أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل ، فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ، ولا تستفت فيهم منهم أحداً ، ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشداً) .

وقد اختلف أهل المدينة بعد أن شاع بينهم أمر أهل الكهف كما اختلفوا هم أنفسهم فى مدة نومهم بكهفهم فيما يجب أن يفعلوه إزاء الكهف بعد أن عاد إليه أهله وهم أموات الآن . . هل يبنى عليه بنيان جديد ليكون معروفاً بينهم ، لكن أصحاب الشأن فى المدينة أوصوا بإقامة مكان للعبادة عليه . واختلفوا كذلك فى عدتهم . . أهم ثلاثة ورابعهم كلبهم ؟ أم خمسة وسادسهم كلبهم ؟ أم هم سبعة وثامنهم كلبهم ؟ وكل هذا التقدير قائم على الرجم بالغيب . . ولذا كانت الوصية التى أوصى بها الله فى كتابه هنا رسوله عليه الصلاة والسلام عندما قص قصة أهل الكهف على أهل الكتاب ألا يدخل فى التفاصيل معهم ، وأن يكل العلم بذلك إلى الله وحده ، وكذلك ألا يحاور فى القصة إلا على نحو ماوصل إليه هنا عن طريق الوحى ، وأن يكف عن استفتاء أحد من أهل الكتاب فيها . . لأن شأن الناس هو الاختلاف فى التقدير ، وأن العلم الحقيقى هو عند الله لا غيره . ويستمر القرآن فى إسداء النصح للرسول صلوات الله وسلامه عليه ، فيطلب إليه أن لا يقول شيئاً على سبيل القطع لأن إرادة الله فوق كل إرادة ، وعلم الله فوق كل علم . . ولذا يجب أن يتذكر الله فى كل لحظة ، وأن يتجه إليه بالدعاء ليقربه من الصواب فيما يقول ومن الحق فيما يفعل : (**ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا**

تسعاً ، قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض ، أبصر به وأسمع ، ما لهم من دونه من ولى ، ولا يشرك فى حكمه أحداً) .

وإذا كان يروى ويتداول بين أهل الكتاب : أن المدة التى أقامها أهل الكهف فى كهفهم هى أكثر من ثلاثمائة سنة ، فالواجب يقضى أيها الرسول — صلوات الله وسلامه عليك — أن يوكل العلم بالمدة إلى الله وحده فهو صاحب الغيب فى الوجود كله ، ما فى السموات والأرض على السواء ، وعلمه أدق . . ثم ليس هناك فى الوجود شريك له فى حكمه ، ولا ولى للناس سواه ، فهو واحد أحد .

وفى ختام تفسير السورة يقول المؤلف :

وكأنما يستخلص من قصة أهل الكهف ماجاء به القرآن هنا ليوجه به الرسول عليه الصلاة والسلام . . يستخلص من هذه القصة :

أولا : ثبات هذه المجموعة من الشبان على الإيمان والحق مهما كان التحدى .

ثانياً : عدم الخداع بالدنيا وزينتها وعدم الوقوع تحت إغراء الحاكم وسلطانه .

ثالثاً : مواجهة أرباب الحكم من الوثنيين بنقد ما هم عليه من اعتقاد باطل فضلا عن عدم مسايرتهم فى دينهم . أى عدم طاعتهم فيما أفرطوا فيه من طغيان واتباع الهوى .

الدكتور محمد صبحي الصالح

من علماء القطر اللبناني

جاء في كتابه (مباحث علوم القرآن) المطبوع في مدينة بيروت قوله :

تهدف سورة الكهف — كجميع السور المكية ولا سيما في هذه المرحلة الثالثة الأخيرة — إلى بناء العقيدة بناء سليما في :

(١) إثبات الوحدانية .

(٢) الفصل الواضح بين ذات الخالق وذات المخلوق .

(٣) كشف الحجب عن ظاهرة الوحي وأسرارها المعجزة العجيبة .

وحسبك في بدايتها أن هذا القرآن أنزل غير ذي عوج لتبشير المؤمنين الموحدين ، وإنذار الذين قالوا : (اتخذ الله ولداً) . وفي نهايتها أن محمداً صلى الله عليه وسلم يؤمر بتوضيح الفرق الذي لا يتناهى بين آفاقه البشرية المحدودة ، وأفق الوحي المبين ، فما هو إلا بشر مثل سائر البشر ، وإنما يمتاز عنهم بتلقيه أوامر ربه الذي يقذف في قلبه نور النبوة والهداية وذلك في قوله تعالى : **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد)** .

وفي غضونها قول أصحاب الكهف (ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً) وقول المؤمن لصاحب الجنتين البطر المغرور

(**لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً**) وقول العبد الصالح لموسى : (**رحمة من ربك وما فعلته عن أمرى**)

فتلك جميعاً آيات نواطق بوحدانية الله وعلمه الشامل الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

وإذا آثرنا الإلمـــام بهذه الحقائق الأوليـــة ولم نفض فيها لمحنا فى السورة موضوعاً شديد الصلة بتلك الحقائق ينبثق عنها بأساليب طريفة جداً تكاد تصيره مستقلا فريداً : **ذلك هو تصوير شؤون الغيب واقتطاعها من إطار العقيدة العام لتقابل بأسرارها العميقة كل ما ظهر أمره من قضايا الإيمان .**

وفى السورة ثلاث أقاصيص تصحح عقائد المؤمنين فى شؤون الغيب ، وتفصل لهم بين ما يرقى علمهم إليه وما لا يعرفونه إلا إذا كشف الله عن أبصارهم الغطاء : قصة أصحاب الكهف ، وقصة موسى مع العبد الصالح ، وقصة ذى القرنين فى رحلاته الثلاث ولا سيما (بين السدين) مع يأجوج ومأجوج .

أما أصحاب الكهف فقد اختار القرآن بعرض قصتهم ثلاث لوحات حافلة بالحركة حتى فى تصوير رقادهم الطويل ، فمن عجب أن ترسم ريشة القرآن الخلاقة فى اللوحة الأولى أولئك الفتية أيقاظاً وهم رقود إذ جعلتهم طوال النـــوم الذى ضرب على آذانهم أكثر من ثلاثة قرون يتقلبون تقلب الأيقاظ ولكنهم لا يفتحون أعينهم ولا يغادرون مكانهم فيثيرون فى رقادهم ذعراً شديداً فى قلوب المارين بهم المطلعين عليهم . وتزداد هذه اللوحة حياة وحركة بصورة كلبهم باسطاً ذراعيه بالفناء كأنه يقوم على حراستهم ، وبصورة الشمس

متجافية عنهم ، متباعدة عن كهفهم ، كأنها لا تريد لشعاعها أن ينفذ إليهم ، فهي تميل عن كهفهم يمنة إذا طلعت ، وتجاوزهم يسرة إذا غربت ، فما أعجبها آية من آيات الله .

واللوحة الثانية — بطبيعتها — حافلة بالحركة والحياة . . فقد استيقظ الرقود ، ودب فيهم النشاط من جديد ، وفركوا العيون ، ونظر بعضهم إلى بعض في استغراب شديد ، إذ شعروا أنهم يصحون من رقدة طويلة ، ولكنهم لم يعرفوا كم لبثوا في كهفهم نائمين ، فتساءلوا عن مدة لبثهم وتناجوا فيما بينهم ، وظنوا أن نومهم — مهما يك قد طال — لا يزيد عن يوم أو بعض يوم ، ثم ردوا الأمر إلى ربهم ، فإنهم فتية مؤمنون يفوضون كل أمرهم إلى الله .

وفي اللوحة الثالثة — وهي خاطفة سريعة — يغادر أحد الفتية الكهف ، ويذهب بما بقي معهم من نقودهم الفضية ليشتري لهم طعاماً طيباً يسدون به إحساسهم بالجوع بعد رقادهم العجيب ، فينصحونه — قبيل الخروج — بالحذر من مشركي تلك المدينة ، لئلا يعرفوا مخبأهم فيقتلوهم رجماً ، أو يردوهم عن عبادة الواحد القهار .

ومن خاتمة هذه الأقصوصة ، ثم من أسلوب التعقيب على خاتمتها ، نستنتج أن أهل تلك المدينة كانوا قد آمنوا بعد شرك أسلافهم ، وأن الله أعثرهم على الفتية الذين فروا بدينهم منذ ثلاثة قرون فتلقوهم بالحفاوة والتكريم حين عرفوهم من زميلهم الذي جاء السوق يشتري الطعام ، ثم يتوفى الله أصحاب الكهف حقاً في أجلهم المحتوم ، فيتنافس مواطنوهم في تكريمهم بعد موتهم وينتهون — بعد نزاع طويل — إلى بناء معبد فوق أضرحتهم ، تخليداً لذكراهم المجيدة ، ورقدتهم العجيبة .

الشيخ محمد محمد المدنى

من علماء القطر المصرى

يتجلى للنـاظر فى السورة أنها منتظمة النسق ، مطردة السيـاق ، واضحة الغرض ، قوية الأسلوب ، متماسكة فى أولها وآخرها وأثنائها ، يجول فيها معنى واحد تلتقى عليه الآيات والأمثال والقصص ، والوعد والوعيد ، والتذكير والبيان ، ولذلك يقول الله عز وجل: **(وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق ، وأن الساعة لا ريب فيها) .**

وأما قصة أصحاب الكهف فيتجلى فيها ثبات الإيمان وقوة العقيدة ، والإعراض عن كل ما ينافيها إعراضاً عملياً صارماً ، لا تردد فيه ولا مواربة . . فتية رأوا قومهم فى ضلالهم يعمهون ، وفى ظلمات الشرك يتخبطون ، لا حجة لهم ولا سلطان على ما يزعمون ، وأحسوا فى أنفسهم غيرة على الحق لم يستطيعوا معها أن يبقوا فى هذه البيئة الضالة بأجسامهم ، ولو خالفوها بقلوبهم ، فتركوا أوطانهم ، وتركوا مصالحهم ، واعتزلوا قومهم وأهليهم ، وخرجوا فارين متجنبين الشطط وأهل الشطط ، وآثروا كهفاً يأوون إليه فى فجوة منه ، لا يراهم فيه أحد ، ولا يؤنسهم فى وحشتهم إلا كلبهم . . .

ذلك هو مغزى القصة الخلقى ، وفيه ما فيه من إرشاد وإيحاء وتمجيد لأخلاق الشرف والرجولة والثبات على العقيدة ، والتضحية فى سبيلها . . .

أما المعنى العام الذى تتلاقى فيه القصة مع غرض السورة ، فهو إثبات قدرة الله على مخالفة السنن التى ألفها الناس وظنوا أنها مستعصية عليه جل شأنه ، أن تبدل وتحول كما هى مستعصية على كل مخلوق ، وشتان بين قدرة الخالق والمخلوقين ، وهذا ما تشير إليه القصة فى ثناياها ، إذ يقول الله عز وجل : « **وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها** »

*****

الشيخ حسن تميم

من علماء القطر اللبنانى

نشرت مجلة «الرسالة الإسلامية» التى تصدر فى بيروت تحقيقاً صحفياً بمناسبة زيارة الشيخ حسن تميم إلى موقع «أصحاب الكهف» فى جبل الرقيم عام ١٣٩٧ هجرية ، وقد ذكر فضيلته فى المجلة المذكورة رأيه فى موضوع القصة فقال :

هؤلاء الذين جاء ذكرهم فى القرآن الكريم فى أحسن القصص التى أرادها الله سبحانه وتعالى أن تكون موعظة ومرشداً للمؤمنين ليزدادوا إيماناً بربهم ويقيناً باليوم الآخر ، ويوم البعث ، ويوم العودة مرة أخرى إلى الحياة الأبدية . . . فإما عودة إلى جنان الله تعالى لا يبغون عنها حولا . . وإما مصير إلى الجحيم ، وبئس مثوى الكافرين .

والمؤمن الذى يتأمل حياته الحالية كل يوم حينما يستيقظ من نومه ويتساءل أين كنت ؟ وكيف كان إحساسى بالزمن ؟ وكيف تعطلت عن الإدراك خلال السبات العميق ؟ وكيف عدت مرة أخرى للإحساس بالوجود واليقظة بعد هذا النوم لابد أن يدرك أن الله عز وجل قد جعل النوم اليومى ذاته مجالا دائماً لتذكير الناس بإمكان العودة إلى الحياة الأخرى بنفس البساطة التى نستفيق بها كل يوم من النوم .

وقد علق فضيلته على الآيات الكريمة التى ذكر فيها أصحاب الكهف بقوله : ومن هذه الآيات يتضح لنا العبرة فى قصتهم هى عودتهم للحياة مرة أخرى كأمر قابل للحدوث كى يؤمن الناس فى ذلك العصر — وفى كل عصر — أن البعث والحياة الأخرى هى من الأمور

الإيمانية الواجبة ليستقيم سلوكنا فى الحياة على أساس وجود الحساب والجزاء والحياة الأخرى التى لا تكون غروراً كالحياة الدنيا .

كما يتضح من الآيات مطالبتنا بألا نشغل أنفسنا بعددهم .. لأن المهم هو مدة بقائهم ، وقد حددها القرآن بـ ٣٠٩ سنة .

هذا وقد جاء فى الروايات الإسرائيلية والنصرانية عن أهل الكهف تفصيلات أخرى تتعلق بالفرعيات كذكر أسمائهم واسم من نزل للسوق لشراء الطعام وأسماء الملوك الذين كانوا حينئذ واسم الأمكنة التى تنقلوا فيها ، وهذا لا يغنى المسلم شيئاً أبداً .. فالعبرة تكمن فى الأصل لا فى الفرع ، وتكمن فى الغاية التى أرادها الله فى سورة الكهف من المؤمن أن يتعرف إليها ويؤمن بها كل الإيمان ، حيث لم نجد فى القرآن كله آية وردت عن الإيمان بالله إلا وتبعها (الإيمان باليوم الآخر) .

وبعد أن نشرت المجلة المذكورة بيانات مفصلة عن كيفية اكتشاف الموقع ، والقرائن التى تثبت وجودها ، ووصفت الوضع الراهن فى داخل الكهف مع الصور الشمسية خلصت إلى القول :

لقد أحدث اكتشاف كهف أهل الكهف ضجة علمية كبيرة . خاصة بعدما تأكد بما لا يقبل الشك أنه الكهف الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم .

إن هذا الاكتشاف التاريخى الذى تحقق فى الأردن الشقيق حسم كل قول وجدل ونقاش حول حقيقة البعث .

مراجـــع الـكتاب

• القرآن الـكريم
• التفاسير : الجلالين ، البيضاوى ، الطبرى ، الرازى ، القرطبي ، روح المعانى ، الطبرسى ، ابن كثير ، الصاوى ، المنتخب ، الميزان .
• تذكرة القرطبي
• البداية والنهاية لابن كثير
• حياة الحيوان (الدميرى)
• معجم البلدان (ياقوت الحموى)
• فتوح الشـــام (الواقدى)
• عجائب المخلوقات (القزوينى)
• الإشارات إلى معرفة الزيارات (الهروى)
• أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (المقدسى)
• سقوط الإمبراطورية الرومانية (جيبون)
• تاريخ سورية (حتى)
• الاعتبار (أسامة بن منقذ)
• تاريخ مختصر الدول
• النائمون السبعة (ماسينيون)
• مساحة فلسطين الشرقية
• كهف أهل الـكهف (الدجانى)
• كهف الرجيب (العابدى)
• الآثار الإسلامية (العابدى)
• الصراع بين الإيمان والمادية (الندوى)
• التفســير الموضوعى للقرآن (البهى)
• القصص الهـــادف (المدنى)
• تقارير دائرة الآثار الأردنية
• مجلات : الشريعة ، الشرطة ، المستمع العربى ، الرســالة الإسلامية ، العربى ، الوعى الإسلامى ، الأسبوع العربى .

من تصانيف مؤلف الكتاب

الفردوس
زبدة التاريخ العام
فيصل بن الحسين
الحبشة المسلمة
فلسطين الدامية
الملك عبد الله كما عرفته (الجزء الأول)
الملك عبد الله كما عرفته (الجزء الثانى تحت الطبع)
الملك طلال
مذكرات فتاة شاردة
أسرار الحركة الماسونية (الجزء الأول)
أسرار الحركة الماسونية (الجزء الثانى تحت الطبع)
مقام المرأة فى الإسلام
ثورة سورية الكبرى
جولة فى ربوع باكستان
جولة فى ربوع اليمن (تحت الطبع)
جولة فى ربوع ليبيا (تحت الطبع)
فى سبيل الله والوطن (ديوان شعر تحت الطبع)
هذا كتابى (مجموعة خطب ومقالات للمؤلف — تحت الطبع)
إعجاز الألفاظ القرآنية (تحت الطبع)

موضـــوعات الـكتاب

رقم الإيداع ٤٩٥٣ - ١٩٧٨

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ أ شارع نشاطي - شبرا - القاهرة